الأمير الشاعر
تميم بن المعز

محمد عبد الغني حسن



المكتبة الصّغيرة

٣٦

تميم بن المعز

الأمير الشاعر

محمد عبد الغني حسن

الطبعة الأولى

ربيع الآخر ١٤٠٢ هـ

ينـــاير ١٩٨٢ م

الطبعة الثانية

شـــعبان ١٤٠٣ هـ

مـــايو ١٩٨٣ م

الغلاف من تصميم الفنان : عصام طنطاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

لعل سائلا يسأل : لماذا اخترت الشاعر الفاطمي : تميم ابن المعز ، لأكتب عنه في هذه السلسلة ، وقد كان في غيره من الشخصيات العربية الأدبية منادح كثيرة ؟ ولن يعوزني الجواب بحال ... فان سر كتابتي عن « تميم » أنه شاعر مظلوم لم يأخذ حقه من التقدير حياً أو ميتاً ، ولم يفرده مؤلف قديم أو حديث بكتاب مستقل ، إلا ما جاء مبعثراً في سطور نجدها في يتيمة الدهر للثعالبي ، والمغرب لابن سعيد ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وحسن المحاضرة للسيوطي ، وإلا ما ذكره به باحثون مصريون معاصرون ، وهم المرحومون : محمود مصطفى ، ومحمد كامل حسين ـ أستاذ الأدب لا الجراحي المجمعي ـ وأحمد أحمد بدوي .

وأحمد الله أن سوّاني بطبعي رجلا أحب المظلومين ، وأذكر المنسيين ، وأتعاطف معهم ، وأتحرى انصافهم ... فقد فعلت ذلك مع محمد بن القاسم الثقفي : بطل السِّند ، وموسى بن نصير ، والمقَّري صاحب نفح الطيب ، وابن سعيد المغربي ،

والشريف الأدريسي ، وعبـد الله فكرى ، وأحمـد فارس الشدياق ، ومي زيادة ، والشيخ حسن العطار .. رائد النهضة الحديثة وأستاذ رفاعة الطهطاوى ـ حين أصدرتُ عن كل منهم كتاباً قائماً ، فكانت الكتبَ الأولى ـ فى المكتبة العربية ـ عن هؤلاء المظلومين .

وقد لاحظت أن الجـزيرة العربية لها من سلسلة (المكتبة الصـغيرة) نصيب ... فاذا جاءتكم مصر اليـوم بشـاعر من أوائل شعرائها بعد ثلاثة قرون من الفتح العربى الاسلامى ، فهـل تضنئون عليـه بمكان بينكم ، ونحن فى النهـاية عرب ـ مهمـا توزعت ديارنا ـ يربطنـا رباطان من جنس كريم ، ودين عظيم ؟

وأنا على ثقـة أن الشـاعر المصرى العـربى الفـاطمى : تميم بن المعز ، سيَلقَـى ارتياحاً ويستشعر أُنسا ، حين يجد نفســه فى سمط مع حمزة شـحاتة ، وأحمد قنديل ، ومحمـد عبد القادر فقيه ، ومقبل العيسى ... وبذا تتأكد من جـديد قضية النسب الأدبي الذى أقامه ـ بحـق ـ شـاعرنا المحلـق أبو تمام مقام الوالد ...

وبعد ! فقد قلت فى هذه التقـدمة أكثر ما كان بودى أن أقوله ، ولـكنى أحس أن أخى الأديب المحقق الثبت الأسـتاذ الـكبير عبد العزيز الرفاعى صـاحب هذه المـكتبة التى يملح وصفها بالأضداد ـ يود أن يقول شيئاً ... فهو ـ كما خبرتُه

فى لقائى به فى الرياض ضيفاً على وزارة الاعلام(١) مغموراً بكرمها المُخرس ـ يقول الكلمة فى حينها المناسب ، ومكانها الملائم ؛ ولا أجد أكثر من هذا المكان مناسبة ليقول الصديق الكريم كلمته ؟

محمد عبد الغني حسن

القاهرة المعزية

ذو الحجة ١٣٩٧هـ ـ نوفمبر ١٩٧٧م

---

(١) كان ذلك في ذى القعدة ١٣٩٧ هـ وفي عهد وزيرها الدكتور محمد عبده يماني ، ووكيلها الدكتور عبد العزيز خوجة .

كلمة الناشر

ما كنت أود أن أقول شيئاً عن هذا الكتاب ، ولا عن كاتبه .. لولا أن مقدمة أستاذنا الكبير محمد عبد الغني حسن أشارت الى ذلك . وكانت اشارته عندي أمراً لا أملك له رداً ... وأن أستاذنا الجليل بكل ما وهبه الله تعالى من مميزات الصدارة ، لحري أن يأمر فيطاع ...

ولكن أعود فأقول ماذا عسى أن أكتب عنه .. أو عن كتابه ..؟

الكتاب دراسة ضافية يعرفها قراء أستاذنا الكبير عنه فى كل ما يكتب ... فله من سعة اطلاعه وعلمه ، وسلاسة أسلوبه ما يمكنه حقاً من الصدارة ، ويجعله أهلا لها ، وسيجد القراء فى هذا الكتاب مصداقاً لكل ذلك .

وأستاذنا أكبر من التعريف ، فهو أحد أعمدة الأدب والبحث فى العالم العربي ، يتسنم من المجد ذروته ، شعراً ونثراً وبحثاً ودراسة ، وتاليفاً ...

وهو ان كان فى مصر شاعر الأهرام ، وكاتباً من رواد الرسالة ، وعضواً فى مجمع الخالدين ، فهو فى العالم العربي كله ، معروف مشهور ، ولم يبق أحد من طلابنا هنا فى السعودية لم يقرأ له (بطل السّند) .

عرفت أستاذنا فى أكثر من مناسبة ، اذ قلما يعقد مؤتمر للأدب .. أو التاريخ أو الآثار لا يدعى اليه ، فيكرّم ـ ويحتفى به ، وتعرف له مكانته فى كل تلك الميادين التى يعدّ من فرسانها المجلين ...

كما عرفت له قدره الأقطار العربية ، فدعى إلى أكثر من قطر ، وفعلت ذلك المملكة العربية السعودية ، حينما دعته وزارة الاعلام ، فأكرمته واحتفت به ، وكان موطن الاعزاز والاكرام من كبار المسئولين ، ومن الأدباء والعلماء ، وعارفى فضله ومكانته .

وبعد ؛ فان نفس القول يطول ... يطول ، لو أردت أن أستقصي ولو طرفاً يسيراً من أمجاده ، فلعل فى هذه الاشارات شيئاً من بلاغ ...

ويكفى أن أقول : إن سلسلة « المكتبة الصغيرة » تشعر باعتزاز كبير وهي تقدمه لقرائها والى أولئك المعجبين بأدبه وعلمه وخلقه فى كل مكان ... وبالله التوفيق ؟

عبد العزيز الرفاعي

صاحب دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض فى ٥/١/١٤٠٢ هـ

الشعر والأدب في العصر الفاطمي

كانت الأسباب كلها معينة على انتعاش الأدب وازدهاره فى العصر الفاطمي . فالخلفاء أنفسهم فصحاء ذوو لسن ، بل كان بعضهم ينظم الشعر ، كما كان أكثرهم يستمع إلى الشعر ويثيب عليه . وكان ثراء الدولة الفاطمية سبباً آخر من أسباب ازدهار الحياة الأدبية ، وقد كان لهذا الثراء مظاهر تستتبعه وتستوجب أن يكون لدولة الأدب سوق نافقة . ولقد انتعش الأدب فى مصر في العصر الفاطمي نتيجة لاستقرار الدولة ، وثبات الأمور ، وبقاء الأحوال مستقرة الى زمن طويل وفى فترات متوالية . ولنترك ما حدث من الاضطرابات بعد عصر « المستنصر » جانباً ، وخاصة فى أيام « المستعلى » ، « والآمر » ، « والحافظ » ، « والظافر » ، و « الفائز » ، « والعاضد » . على أنه فى عصر كعصر « الآمر »

كانت قوة الوزارة مدعاة الى قوة الدولة ، فظهر بعض الشعراء المجيدين الذين كانوا امتداداً لشعراء العصور الأولى من الدولة الفاطمية .

وفى خلال هذه الحالة الأدبية المزدهرة وجدنا الشعر في العصر الفاطمي يزدهر تبعاً لذلك ، ويكثر شعراؤه المجودون ، بل وجدنا من الخلفاء أنفسهم اهتماماً بالشعر وتشجيعاً له ، واثابة لأصحابه . وكان خلفاء الدولة قبل الفتح الفاطمي لمصر يعيشون فى المغرب ، ويحتفظون بخصائص العروبة القوية ، ولم تَفسُد ألسنتهم، بل كان بعضهم ينظم الشعر ، كالخليفة « القائم بأمر الله » الذى اتبع سياسة أبيه « عبيد الله المهدى » فى التطلع الى غزو مصر ، قبل أن تحضر اليها جيوش المعز لدين الله سنة ٣٥٨هـ ، على يد القائد جوهر الصقلى . ويروى صاحب « سيرة الأستاذ جوذر » أبياتاً للخليفة « القائم » يفتخر فيها بنفسه وبشرف آبائه ، فيقول :

تبـــدلت بعـــد الزعفــران وطيبــه
صــدا الــدُرع من مستحكمات السوامرِ
ألم ترنى بعـــد المقـــامة بالســـرى
ولـــين الحشـــايا بالخيـــول الضوامرِ
وفتيـــان صـــدق لا ضـــغائن بينهم
يثـــورون ثـــورات الأُسُـــود الخوادرِ
أرونى فتى يُغـــنى غَنـــائى ومَشـــهدى
اذا رهـــج الـــوادى لوقـــع الحوافرِ
أنا الطـاهر المنصـور من نَسـل « أحمد »
بسـيفى أقـــدُ الهـــام تحت المغافرِ

و « القــائم » هــذا الملقب بالمنصــور هــو أبو الخليفة « المعز لدين الله » الذى فُتحت مصر فى عهدهْ . وكان المعز شاعراً أيضاً وأديباً ، وقد نسب له المؤرخ ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » أبياتاً يقول فيها :

لله مـــا صـــنعت بنـــا
تلـــك المحـــاجر في المعاجـــرِ
أمضىَ وأقضىَ فى النفـــــــو
س من الخنـــاجر فى المناجـــرِ
ولقـــد تعبتُ ببينكُـــم
تَعَبَ المُهـــاجر فى الهواجـــرِ

وعلى الرغم من ظهور الصنعة والتعمل والمحسنات البديعية على هذا الشعر ، فان روح العاطفة فيه تبيِّن لنا أثر العيون التى تخفيها المحاجر فى قلوب الناظرين . وكذلك نسبوا الى « المعز » شعراً آخر يقول فيه :

أَطلعَ الحُسن من جبينك شمساً
فوق ورد فى وجنتيك أطَلاَّ
وكأنَّ الجَمال خاف على الور
د جفافاً فمدَّ بالشعر ظلاَّ

والخيال فى هذين البيتين جميل ، والصورة مستحسنة ، وحسُّ الشاعر فيهما مرهف دقيق . فان الجمال خشى على خد المعشوق الذى يشبه الورد النضير أن تحرقه شمس الحسن من جبينه ، فأنبت عليه خصلة من شعره لتكون بمثابة مظلة له ... ولقد أعجب القدماء بهذه الصورة المستملحة المخترعة ، حتى قال فيها ابن خلكان : (أن هذا معنى غريب بديع) .

وقد نسب القدماء هذين البيتين مرة أخرى الى الشاعر الفاطمي الاسكندري « ظافر الحداد » ،

كما وردت فى ديوان ظافر المطبوع أخيراً لأول مرة ، وهى بشعر ظافر الحداد أليق ، وبنفسه أشبه . وليس من المعقول أن يكون الظافر قد اغتصبها وادعاها لنفسه ، ولكن الأقرب الى العقل أن ذلك الخلط من فعل الرواة الذين ينسبون ما لزيد لعمرو ...

ونصادف عند المؤرخ « ابن أياس » اشارة الى شاعرية المعز لدين الله وفصاحته . وقد زاد المؤرخ بيتين فى حصيلة ما ينسب الى المعز من شعر ، فذكر أن له شعراً جيداً منه :

ما بان عذرى فيه حتى عذّرا
وبدا البنفسج فوقَ ورد أحمرا
همَّت بقُبلته عقاربُ صدغه
فاستلَّ ناظره عليها خنجرا

وكما كان الخليفة « المعز » شاعراً ، كان ابنه « نزار العزيز بالله » شاعراً ، كما كان الأمير « تميم بن المعز » أخو العزيز شاعراً مجيدا .

ويقول صاحب « النجوم الزاهرة » عن العزيز أنه (كانت لديه فضيلة ، وله شعر جيد) . وروى

له الثعالبى صاحب « يتيمة الدهر » شعراً قاله فى وفاة ولد له مات يوم عيد . وهو :

نحـــن بنـــو المصطفى ذوو مِحَن
يَجرَعهـــا فى الحيــــاة كاظمُنا
عجيبـــة فى الأنـــام محنتُنـــا
أوَّلُنـــا مُبتـــلىً وخاتمنا
يَفرَحُ هـــذا الورَى بعيـــد همـــو
ونحـــنُ أعيـــادُنا مآتمنا ..

واذا كان كثير من الخلفـاء الفواطم شـعراء وخطباء ، فلم لا يكون الناس فى مصر على دينهم، ولم لا تقوم للأدب والشعر دولة فى أيامهم ؟

وقد نسبوا الى « الحـاكم بأمر الله » شعراً ، ولكن يبدو أن خلط الرواة قد دخل اليه ، فذكروا له ما ليس من شعره ، وقد وقع صاحب « النجوم الزاهرة » فى هـذا الخلط مرات غير قليلة . على أن المعـروف عن « الحـاكم بأمر الله » أنـه كان يستمع الى الشعر الجيـد ، فيطرب له ، ويحسن الاستماع اليه ، ففى « الذخيرة » لابن بسام أن الشاعر الواسانى هجا «يوسف بن علي» المشرف

على دمشق فى عهد الحاكم ، وترامت أخبار هـذا الهجاء الى أُذُن الحاكم فى مصر ، وتسامع به بعد أن تناقلته الأفواه ، فقال يوماً لجلسائه : أريد سماع هذه القصيدة من رجل حسن النشيد !

وتذكر المصادر أيضاً عن الخليفة «المستنصر» الفاطمي أنه كان شاعراً ، وكان فى شعره ابداع وحُسن ، وأنه كان له قدرة على ارتجال الشعر فى بعض المقامات . وأنه كان يرد بالشعر على بعض الرسائل التى كانت ترد اليه . ويذكرون له فى هذا المقام بعض الأخبار . منها أن « المؤيد فى الدين الشيرازى » عاد الى القاهرة سنة ٤٥٠ هـ فمنعه الوزير ابن المغربي من لقاء الخليفة المستنصر ، فأخذ المؤيد الشيرازى ينظم الشعر ، ويرسل الكتب التماساً لمقابلة « المستنصر » ، الى أن بلغه قول المؤيد فيه :

أقسم لو أنك توّجتنى	بتاج كسرى ملك المشرقِ
ونلتنى كلَّ أمور الورى	مَن قد مضى منهم ومَن قد بقى
وقلت أن لا نلتقى ساعة	أجبت يا مولاي أن نلتقى
لأن ابعادَك لى ساعة	شيَّب فوديَّ مع المفرقِ !

فلما وصلت الرقعة التى فيها هذه الأبيات الى المستنصر ، أجاب عليها بخطه قائلا :

يا حجة مشهورة في الورى … وطودَ عِلم أعجز المرتقى
ما غُلِّقت دُونَك أبوابُنا … ألا لأمر مؤلم مغلقِ
خِفنا على قلبك من سمعه … فصدَّنا صَدُّ أب مشفقِ
شيعَتُنا قد عدِموا رُشدهم … فى الغرب ياصاح وفى المشرقِ
فانشر لهم ما شئت من علمنا … وكن لهم كالوالد المشفقِ
ان كنت فى دعوتنا آخرا … فقد تجاوزت مدى السُبقِ
مثلك لا يوجد فيمن مضى … منسائر الناس، ولا منبقى

وهذه البديهة الحاضرة فى رد الجواب بالشعر المكتوب لتوِّه على الرقاع قد روى لنا « ابن تغرى بردى » حادثة أخرى منها غير السابقة التى رواها مصدر شيعي ، فقد جاء فى النجوم الزاهرة أن ناظر الدولة جاء بالأتراك سنة ٤٦٠ هـ الى الوزير ابن كدنية وطالبوا الوزير بالمال ، فقال لهم الوزير : وأى مال بقي عندكم بعد أخذكم الأموال ، واقتسامكم الاقطاعات ؟ فطلبوا من الوزير أن يرفع الأمر الى المستنصر ، فرفع الوزير المسألة الى الخليفة فى كتاب بعثه اليه ،

فأجاب المستنصر على كتاب الوزير وعلى الرقعة نفسها بقوله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقى الاَّ الاهى ولـــه الفضلُ
جَـــدَّى نبى ، وامامى أبى وقولي التوحيـد والعدلُ

وقد كان الخليفة « الآمر بأحكام الله » شاعراً يتذوق الشعر وينظمه فى المناسبات ، ويقول عنه ابن تَغرِى بردى : (كان للآمر نظم ، ونظر فى الأدب) وروى له عدة أبيات تختلط فيها النسبة بين « الحاكم » و « الآمر » . وجاء في تاريخ مصر لابن ميسر أبيات نسبها الى الآمر يقول فيها :

أما والذى حجت الى ركـــــن بيتـــــه
جـــــراثيم ركبـــــان مغلقـــة شُهبَا
لأقتحمنَّ الحـــــربَ حتى يُقـــــال لى
ملـكت زمام الحـــرب فاعـتزل الحَربَا
وينـــــزلُ روح الله عيسى بن مـــــريم
فيَرضى بنا صَحبا ، ونرضى به صَحبَا

وقد تكون هذه الأشـعار المنسوبة الى خلفـاء الدولة الفاطميـة مما انتحله الرواة من أنصار المذهب الفاطمي ، اعلاء لشـأن هؤلاء الخلفـاء واثباتاً لفضيلة الأدب والفصاحة عندهم ، ولكن

لا شـك أن فيهـا بعض الصحة ، فما الذى يمنع هؤلاء الأئمة العرب الأقحاح ، وهم من آل البيت النبوي الكريم ، أن يقولوا الشعر ، أو يُحسنوا الـكلام ، وقـد رأينا أن الشاعر الأمير « تميم ابن المعز » ـ وسنرى بعد ـ شـاعر مجيد ، وله ديوان كشف عنه الغطاء بعد أن كان مفقوداً ؟

على أن أكثر خلفاء الفاطميين كانوا من أهل الفصـاحة والمقـدرة على الـكلام ، فلم تعجزهم العبارات المرتجلة فى المواقف التى تقتضى القول . فقد ذكر الامام السيوطى فى « حسن المحاضرة » أن المعز لدين الله توجه من المغـرب قاصداً مصر فىشهر شوال سنة ٣٦١ هـ ، فوصل الى الاسكندرية فى شـعبان سـنة ٣٦٢هـ وخـرج أعيـان مصر لاسـتقباله والسـلام عليـه ، والترحيب به ، فخطبهم خطبة بليغـة . ويذكر ابن تَغرى بردى في النجـوم الزاهـرة أن المعـز لمـا لقي أهـل الاسـكندرية وعظهم ، وأطـال فى الوعظ ، حتى أبكى بعضهم .

ولقد دعا الى نهوض الشعر فى العصر الفاطمى ذلك الميل من الخلفاء الفاطميين الى منافسة الدولة العباسية ببغداد ، وكأنها نصبت نفسها ندّاً لها ، فكل مظاهر الخلافة بجلالها وفخامتها فى بغداد كان لها نظيرها فى مصر ، بل أكثر مما كان لها هناك . واذا كان الشعراء يزدحمون على أبواب الخلفاء الفاطميين فى القاهرة ، ولِم لا يجذب الخلفاء أنفسهم الشعراء ويشجعونهم على الوقوف بأبوابهم ؟

وقد سمع « المعز لدين الله » شعر « ابن هانىء الأندلسى » ، فأحب أن يستجلبه اليه ويقربه منه ، فبعث اليه واستقدمه الى بلاطه ، حتى لا يحرم شاعراً مثل هذا ، وحتى يكون اسمه مقترناً باسم هذا الشاعر الفحل الذى كان يماثل المتنبى فى المشرق .

فلما اتصل ابن هانىء بخدمة « المعز » مدحه بالقصائد الطوال الرنانة التى نجدها كاملة فى ديوانه . وكان المعز يجيزه على شعره أجزل

العطاء ، ويبالغ فى التقدمات له ، ولم يعطه المال والذهب النضار وحسب ، بل كان يهب له الضياع . ولما فُتحت مصر ، وجلس « المعز » يتقبل التهنئات بفتحها دخل عليه « ابن هانىء » وأنشده القصيدة الجزلة الرصينة التى يقول فيها :

يقول بنو العباس : هل فُتحت مصر ؟
فقل لبنى العباس قد قُضي الأمرُ
وقد جاوز الاسكندرية « جوهر »
تطالعه البشرى ، ويقدمه النصرُ
وقد أَوفدت مصر اليه وفودها
وزيد الى المعقود من جسرها جسرُ
فما جاء هذا اليوم الا وقد غدت
وأيديكمو منها ومن غيرها صِفرُ
فلا تكثروا ذكر الزمان الذى خلا
فذلك عصر قد تقضىً ، وذا عَصرُ

ولما بلغ شاعرنا ابن هانىء الى قوله :

ألا انما الأيام أيامك التى
لك الشطر من نعمائها ولنا الشَطرُ

التفت الخليفة المعز الى وزيره وقال : اكتب له بالاسكندرية ، وسلموها اليه بمن فيها ، فهى شطر ، وقد خصصناه به ..!

فالخليفة المعز الفاطمى هنا يحتال على الشاعر الفحل بكل وسيلة ليستقدمه الى بلاطه ، وليفتخر بأنه من رجاله وحاشيته ، ثم يزيد « المعز » في العطاء فلا يعطى الدراهم والدنانير ـ وهى سلعة المكافآت فى ذلك العصر ، وعملة الصلة فيه ـ وانما يعطى الضياع ، لكل قصيدة ضيعة ،وكانت الاسكندرية هى هبة «المعز» للشاعر ابن هانيء . والشاعر فى هذه التهنئة يعلم قصة الصراع والمنافسة بين الفاطميين والعباسيين ، فيستغلها ويثيرها فى قصيدته بتساؤل بنى العباس : هل فتحت مصر ؟ فيكون الجواب : قل لبنى العباس قد قضي الأمر .

ولقد بلغ من عناية الدولة الفاطمية بالشعراء أنها حصرت أسماءهم فى ثبت خاص ، ورتبتهم على أقدارهم فى الشعر ، كترتيب الزوار فى السلك السياسى ، وجعلت لهم فى انشاد الشعر نظاماً معيناً يتعاقبون عليه ، ولا يخرجون عنه فى

المناسبات التى ينشد فيها الشعر ، كالمواسم والأعياد .

ولقد ذكر « المقريزى » فى الخطط عند كلامه على حفل فتح الخليج أنه بعد أن يطمئن الخليفة الفاطمى الى مجلسه ، يستأذن صاحب الباب لحضور الشعراء للخدمة ـ يعنى لانشاد شعرهم ـ فيؤمر بتقديمهم واحداً بعد واحد ، ولهم منازل على أقدارهم ، الواحد منهم يتقدم الآخر بخطوة فى الانشاد . وهو أمر معروف عند عامل مكلف به يقال له النائب .

ومن مظاهر الاهتمام أيضاً بالشعراء أنهم لم يكونوا معروفين عند الدولة بأسمائهم وأقدارهم ومراتبهم فحسب ، بل عرفتهم الدولة بصورهم . فكان فى منظرة « بركة الحبش » طاقات وكوى مفتوحة عليها صور الشعراء وهيئاتهم ، كل شاعر واسمه واسم موطنه ، وعلى جانب كل من هذه الطاقات قطعة من القماش كُتِبَ عليها قطعة من شعر الشاعر ، وعلى الجانب الآخر رف

ظريف مذهب ، فاذا دخل الخليفة وقرأ الأشعار ، أمر أن توضع على كل رف صُرَّة مختومة فيها خمسون ديناراً ، وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرَّته بيده ...

ومن هنا كَثُر الشعراء بمصر فى العهد الفاطمى كثرة لم نجدها فى أى عصر آخر . ولقد أحصى صاحب كتاب « الأدب العربى فى مصر » منهم اثنين وأربعين(١) شاعراً ، فيهم القليل الوافد ، كعمارة اليمني ، وصريع الدلاء ، وأحمد بن محمد الأنطاكي ، المعروف فى كتب الأدب والشعر بأبى الرقعمق ...

وبلغ من كثرة ازدحام الشعراء على أبواب الخلفاء فى العصر الفاطمي أن الخليفة « الحافظ الفاطمي » قد أمر الشعراء أن يختصروا فى الانشاد حفظاً للوقت واختصاراً للزمن ، حتى لا يطول مكث الخليفة فى الاستماع لهم ، فان

---

(١) وقد أحصينا نحن – عن طريق مصادر ومراجع لم تتح لباحث قبل – بضعة وثمانين شاعرا ازدحمت بهم مصر في خلال العصر الفاطمى . وضاعت بالطبع اكثر دواوينهم .

الوقت مهما طال لا يتسع لهذه الكثرة الكاثرة من الشعراء ، ولكن الشاعر أبا العباس أحمد بن مفرج اعترض على هذا الأمر الخليفى بلباقة وكياسة يقول فيها :

أمرتنا أن نصوغ المدح مختصرا
لم لا أمرت ندى كفيك يختصر ؟

والله لا بد أن تجرى سوابقنا
حتى يَبِينَ لها في مدحك الأثر

ولما سمح للشعراء أن ينشدوا الأشعار على سجيتهم ، لم يكفهم الا يوم كامل يتعاقبون فيه على الانشاد حتى يفرغوا جميعاً مما أعدوه للمناسبة ...

ولقد نظم شعراء العصر الفاطمي ــ أو شعراء مصر الفاطمية ــ الشعر فى كل غرض نظم فيه شعراء العرب قبلهم ، فقالوا فى كل الأغراض المختلفة التى قال فيها الشعراء . ولم يتركوا فنأ من فنون الشعر الا نظموا فيه . فقالوا فى المدح، والهجاء ، والرثاء ، والعزاء ، والوصف ،

والغزل ، والشكوى ، والعتاب ، والحكم والنصائح ، والزهد .

وقد طبعت مصر الشعراء بطابعها ، ونفضت على شعرهم ملامحها ، كما بان أثر المذهب الفاطمي فى شعر بعض الشعراء ، وظهرت ملامح مصر واضحة فى أكثر أشعارهم التى ضاع أكثرها ، لأن الأيوبيين ـ وهم أنصار المذهب السني ـ حاولوا أن يطمسوا كل أثر وملمح للدولة الفاطمية .

وفى الصفحات التالية من هذا الكتاب نعرض بالتفصيل والدراسة شعر الشاعر الأمير تميم بن المعز .

تميم بن المعز لدين الله
٣٣٧هـ - ٣٧٤هـ

نحن هنا أمام شاعر من بيت الخلافة الفاطمية ، فهو ليس شاعراً فاطمياً بالمعاصرة وحسب ، ولكن (الفاطمية) تجرى فى دمائه ، فهو الشاعر تميم بن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذى فتحت مصر فى عهده على يد جوهر الصقلى ، وهو أخو العزيز الخليفة الفاطمي .

ولقد ظلم الشاعر تميم بن المعز الفاطمي فى حياته وبعد مماته من نواح كثيرة ... فلقد كان أكبر أولاد المعز بالله وأحق أخوته عبد الله ، ونزار – الذى ولي الخلافة ولقب بالعزيز – وعقيل ، بالخلافة الفاطمية ، ولكن أباه المعز لدين الله صرفه عن ولاية العهد ، وجعلها لنزار – أو العزيز – ثالث أولاده .

ولا بد أن هناك أسباباً جعلت المعز يسلك هذا المسلك نحو ولده تميم . ولعله لمح فيه منذ أوائل صباه ما جعله يصرفه عن الاضطلاع بأعباء ولاية العهد والخلافة .

ويبدو أن تميماً كان منذ شبابه الباكر ضالعا مع جماعة من الساخطين الناقمين على أبيه المعز لدين الله حكمه ، وكان من هؤلاء الناقمين جماعة من أهل البيت الفاطمي نفسه ومن أبناء عم الشاعر تميم . مما جعل الخليفة المعز يعين لهم الأستاذ (جؤذر) لرصد حركاتهم ، وتعقب خطواتهم على غرة منهم . وقد كانت الرسائل والكتب تتبادل بين هؤلاء الساخطين الثائرين وبين الأمير تميم الذى لم يكن يدرك تمام الادراك خطورة ما هو مقبل عليه من المشاركة مع الثائرين . وكانت الأخبار بموقف تميم ترد الى أبيه المعز فلا يكاد يصدقها ، ويوصى الأستاذ جؤذر بعدم التعرض لهؤلاء الثائرين لمجرد الاشتباه فيهم ، الى أن اضطر الخليفة المعز الى

تضييق دائرة الخناق عليهم ، فكتب الى الأستاذ جؤذر يقول له : (يا جؤذر ! كنت خاطبتنا فى أمر كتب القصرين الى دار تميم وغيره . فأمرناك بترك التعرض لهم . وأذن الله قد أجرى على فكرك ما فيه التوفيق . ونحن ما نظن بأحد سوءاً من الأباعد ، فكيف من الأقارب ؟ وقد ظهر لنا بعض ما نكرهه . فاعمل على حمل ما يكون من كتاب وغيره الينا ، ولا تنفذه حتى تعرفنا به من حيث لا يشعر بك أحد البتة ان شاء الله)(١) .

وظاهر هذا الكلام أن المعز لدين الله الفاطمي قد أدرك أن هناك حركة تدبر فى الخفاء للثورة عليه ، وأن فى هذه الحركة بعضاً من أهل بيته وأقاربه . وأن ولده « تميماً » ضالع مع المتآمرين . ولعل الساخطين أقنعوا تميماً بنصرته حتى يصل الى الخلافة ، وخاصة أنه أكبر أبناء المعز وأحقهم بالخلافة بعد أبيه ...

---

(١) سيرة الأستاذ جؤذر - تحقيق د. محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة ص٩٩ .

ومن هنا بدأت الوساوس تنفذ الى قلب «المعز» نحو ولده الأكبر تميم ، وأخذ يشك فى كل خطوة يخطوها ، وخاصة بالمغرب قبل مجيئه الى مصر . ومما يؤكد هذه الوساوس أن أحمد بن الحسن الكلبى، أمير جزيرة صقلية من قِبَل الفاطميين، كان له ولد اسمه (طاهر) ، وكان صديقاً حميماً للأمير تميم بن المعز . وقد شك أبو طاهر فى هذه الصحبة التى اعتقد أن فيها شراً يدبر ، وأمراً عظيماً يبيت ، فكتب الى الأستاذ جوذر يطلب منه الاذن من الخليفة المعز فى قتل ولده : طاهر ، لهذه الصحبة غير الطاهرة فى نظر أمير صقلية . ولقد أعجب الخليفة المعز بموقف أبى طاهر من ولده ، كما أعجب بوفائه للخلافة الفاطمية أكثر من حبه لابنه وفلذة كبده . ولكنه أمر بأن يصرف أحمد بن الحسن الكلبى عن تفكيره هذا نحو ولده ، وأن يقنع بأن الفاسد قد يُستصلح بدلا من قتله ، وبدلا من الفضيحة التى لا يلحق عارها الا أهله . ولعل رسالة الخليفة المعز

لدين الله الى الأستاذ جؤذر تكشف لنا عن ناحية اخـلاقية عظيمة من أخـلاق المعز حيث يقول :

(يا جـؤذر ! كثر الله من أوليائنـا مثل أحمـد ـ يريد أحمـد الـكلبى ـ فوالله ما كان يشينه عندنا ويصـوره بغير صورته الا بعض أتبـاعه الذين زينوا لهذا الصبي الشقي ولده صحبته من كان سبب شقوته . ووالله انَّ توجعنا به كتوجعنا بمن لنا . لكن ابن أحمد ـ يريد طاهراً ـ يُرجى فيما يستقبل من الزمان ، ومدبرنا نحن ـ يريد ولده تميمـاً ـ لا يرجى أبداً . اذ كانت الخطـة التى يرفع الله عز وجل بهـا أولادنا هى خطـة الطهـارة ، ومن عَدِمَها كان كلاً على مولاه . والحمد لله على ما ساء وسر . فأما ما أراد أن يفعله أحمد بولده فامنعه ، وتشفع له عنده ، وعرِّفه أن الصـواب اصلاح كل ما فسد من غير ظاهـر شنعة يلحقـه عارها ، ويبقى ذكرها مع الأيام . فما يخفى عليـه أن ذلك يبقى فى الأعقـاب . فليمسك . ويعمل ما يصلح فيما يستقبله ، فكونه

بين أيدينا يصلح فساد كل فاسد كان يسعى به بينهما ...)(١) .

قد تكون ضلاعة الأمير تميم مع الساخطين على أبيه الخليفة المعز هى السبب الرئيسى لغضب والده عليه وصرفه عن ولاية العهد . ولكن لا شك أن المعز رأى بحس الوالد وعينه وفراسته التى لا تخطىء أن ابنه تميماً غير أهل لولاية العهد ، ولا هو جدير بالخلافة حين تؤول اليه . ولعله لاحظ فى سلوكه وفى لون خياته وفي ايثاره حياة اللهو والمجون ما يجعله غير خليق بأن يملأ المركز الخطير الذى يشغله أبوه والذى شغله خلفاء الفاطميين من قبل . فقد كان تميم شاباً لاهياً ماجناً ، وكان يأخذ من حياة اللهو بأوفى نصيب . وليست الحياة فى نظره الا شراباً وزهراً وامرأة . وأما غير ذلك من مطالب المجد ، ومراقى الطموح فكان غير مشغول بها ، ولا مصروف اليها . وفى شعره مصداق لهذا الخط الذى اتخذه فى الحياة .

---

(١) سيرة الأستاذ جوذر - ص١٢٠ .

وكثير هو الشعر الذى يصادفنا فى ديوان تميم بن المعز والذى يعبر عن انصرافه التام عن جد الحياة الى هزلها ، وعن صحوها الى سكرها ، ومثل هذا الاتجاه لا يشجع خليفة على الوصية بولاية العهد لولده . ومن هنا صرف المعز ولده الأكبر « تميماً » عن ولاية العهد ، وجعلها فى ولده نزار (العزيز) ثالث الأولاد .

ولكي نكون دقيقين فى مسألة ولاية العهد هذه يجب أن نقول أن المعز لدين الله جعلها أول الأمر لعبد الله ثانى أولاده والذى يأتى مباشرة بعد تميم المصروف . ولكن القدر شاء أن ينتزع عبد الله من أحضان والديه سنة ٣٦٤هـ . وهنا تطلع الأمير تميم لولاية العهد مرة أخرى ، ولكن أباه المعز صرفه للمرة الثانية مع أحقيته لها بالسن . ولكن المسألة هنا ليست محل أحقية ، ولكنها محل أهلية . وقد بدا من سلوك « تميم » ما جعله غير أهل لولاية العهد فى نظر والده ، فصرفها الى نزار الذى لقب بالعزيز . ولما تولى

نزار الخلافة سنة ٣٦٥هـ عقب وفاة أبيه المعز يئس تميم من التطلع الى الخلافة ، لأنها ستنتقل بعد ذلك الى المنصور ولد العزيز الذى لقب بعد ذلك بالحاكم بأمر الله الفاطمي .

والحق أن تولى العزيز نزار للخلافة الفاطمية قد أيأس أخاه الشاعر تميماً من طلبها أو التفكير فيها ، فرضى بنصيبه الذى كان هو مسئولا عن تشكيله ، وسكنت نفسه الثائرة ، فلم يشترك فى فتنة ، ولم يخالط ثائرين ، ورضى بمقامه فى قصره الباذخ بالبستان المعروف بالمعشوق ، وآثر الدعة والاسترسال فى حياة الملذات ، ولم يحقد على أخيه الخليفة العزيز نزار ، بل كان يمدحه ، كما كان يمدح أباه من قبل ، وكان العزيز يعطيه ويمنحه ويزيد فى بره ، والشاعر يزيد فى مدائحه واخلاصه له . ويروى لنا ابن الأبار أن الخليفة العزيز تنزه الى بركة الحبش ، فلما قرب من قصور أخيه تميم سأل عنه فأسرع اليه من عرفه ، فخرج راجلا حافياً حتى لقيه فسلم على

اخيه العزيز بالخلافة ، وقال : يا أمير المؤمنين ! قد وجبت على عبدك الضيافة . قال : نعم . ودخل معه الى بستانه ، وقد أمر بجنيبة من الجنائب التى كانت بين يديه وأقسم على تميم أن يركبها ويسايره ، فلما توسط البستان نظر الى ثمر يلوح الذهب عليه ، فتعجب منه واستظرفه ، ودنا من شجرة ، فأخذ منها ليمونة واحدة ، واذا مكتوب عليها بالذهب :

أنا الليمون قد غَذِيت عروقى
ببرد الماء فى حرز حريز

فجعلها فى كمِّه وقال : هذه ضيافتى عندك ! وانصرف الى قصره ، فبعث الى جعفر بن قرهب : صاحب بيت المال ، فقال له : ما عندك من الدنانير ضرب هذه السنة ؟ وكان ذلك فى أولها . فقال له : مائة ألف وستون ألفاً . فأمره بحملها من ساعته الى الأمير تميم مع راشد العزيزى ، وقال له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول

لك : استعن بهذه على مؤونك ! فَقَبَّل الشاعر الأرض(١) .

واذا كان شاعرنا تميم بن المعز قد ظلم فى حياته بسحب ولاية العهد منه مع أنه ـ بحكم السن ـ كان المرشح لها ، فانه ظلم بعد مماته حين نسى الناس شعره ، وحين قل المترجمون لسيرة حياته ، وحين قل المتحدثون عنه فى كتب التاريخ والأدب ، فأخباره قليلة جداً لا تتكافأ مع ما كان له من منزلة شعرية فى عصره ، ولا نكاد نقع على خبر له الا مبعثراً فى كتاب هنا أو هناك ، حتى ديوانه الضخم الحافل بفنون من الشعر الجزل الرصين الرقيق لم يقدر له أن يرى النور لأول مرة الا فى سنة ١٩٥٧م حيث أصدرته دار الكتب المصرية فى ٤٧٦ صفحة مع تصدير للأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم ، ومقدمة جليلة لمحققيه المرحومين أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد على النجار .

---

(١) الحلة السيراء لابن الابار ـ ص٢٩٦ .

ومن عجب أن هذا الديوان العظيم لتميم بن المعز يظل مدفوناً طوال هذه القرون فيما يربى على ألف عام ، مع أن ما فيه من شعر وشاعرية يؤكد ملامح مصرية قوية فى العصر الفاطمى ، بل يعد بداية رائعة للشعر الفاطمى . ولقد بلغ من اغفال أمر هذا الديوان أن شعر تميم كاد ينساه الناس مع أنه كان مما يتغنى به فى حياته وبعد وفاته ، وأن كتب الأدب والتاريخ لا تكاد تروى له الا مقطوعات وأبياتاً من هنا ومن هناك ، كما فى كتاب يتيمة الدهر للثعالبى ، والمغرب لابن سعيد المغربى ، وحسن المحاضرة للامام السيوطى ، ووفيات الأعيان لابن خلكان .

وأعجب من هذا أن الظلم والنسيان والاغفال والاهمال قد تناول الشاعر تميم بن المعز حتى فى اسمه ، فتارة حرفوا اسمه الى : (أبى تمام معد) كما جاء فى كتاب (تراجم الأعيان) للحسن البورينى(١) ، ولم يستطع الدكتور صلاح الدين

(١) تراجم الأعيان - طبع مجمع اللغة العربية بدمشق - جـ١ ص٥٢ .

المنجد محقق الكتاب أن يحقق هذا الاسم أو يقف عنده مصححاً . وتارة يخلطون بين اسمه واسم والده : معد الملقب بالمعز لدين الله الفاطمى ، وتارة يذكر اسمه : (تميم بن مسعد) ، كما وقع على سبيل التحريف المطبعى فى كتاب : (الأدب العربي فى مصر) للمرحوم الأستاذ محمود مصطفى(١) .

ولم يقف الظلم لشاعرنا تميم بن المعز عند هذا الحد ، فقد أصابه الظلم حتى فى تاريخ وفاته، فقد ذكر المحققان لديوانه المطبوع بدار الكتب المصرية ــ وهما من أفضل الباحثين ــ أنه (توفي سنة ٣٧٥هـ ، وهو فى نحو الثامنة والثلاثين من عمره)(٢) ولعلهما الوحيدان اللذان انفردا بهذا التاريخ من دون المؤرخين جميعاً . فما نعرف أن أحداً ذكر سنة ٣٧٥هـ لوفاة الشاعر تميم غيرهما . ففى وفيات الأعيان لابن خلكان أنه توفي سنة ٣٧٤هـ ، وعنه أخذ خير الدين الزركلى

---

(١) انظر صفحة ٢٢٥ من كتاب الأدب العربي فى مصر لمحمود مصطفى .
(٢) ديوان الأمير تميم صفحة ف .

فى كتـــابه (الأعلام) والمرحوم الدكتور محمــد كامل حسين فى كتابه (فى أدب مصر الفاطمية) .

أما ابن الجوزى صاحب كتاب(المنتظم) المطبوع بحيدر آباد الدكن فى الهنــد فقــد ذكر فى الجزء السـابع ص٩٣ أن الشـاعر تميم بن المعز توفي سنة ٣٦٨هـ ، وعنه أخذ ابن « تَـغرى بردى » فى النجـوم الزاهرة ، وان كان السـيوطي ذكر فى حسن المحاضرة أنه توفي سنة ٦٦٨هـ ، وهو وهم أو تحريف لم يلتفت اليه محقق طبعة (دار احياء الكتب العربية) من ذلك الكتاب (١) .

واذا كان الظلم قد اصطلح على شاعرنا تميم ابن المعز من نواح كثيرة ، فاننا لا نستطيع هنا أن نغفل ظلماً آخر وقع عليه وهو حي ، وقــد جاءه هذا الظلم من بعض أقاربه الذى أشاع أن الأمير تميماً كان يستعين بغيره على عمل الشعر ، فهو ليس شعراً خالصاً له ، ولكنه شعر اشتركت فيه قرائح غيره ، ووجد هؤلاء الأقارب الحاسدون

---

(١) حسن المحاضرة - جـ١ ص٥٦١ .

سبيلا الى نشر هذه الشائعات وترويجها ... فلم يجد شاعرنا مفراً من الرد عليهم ودحض أقوالهم وتسفيه آرائهم بمثل المقطوعة التالية التى يقول فيها :

أرى أناساً ساء بى ظنهم — في كل ما قلت من الشعرِ
لما تطأطا بهمو علمهم — قاسوا بأقدارهمو قدرى
قالوا سواه صانع كل ما — يأتى به فى السر والجهرِ
لو فهموا أو عقلوا لاستحوا — أن يجعلوا المريخ كالبدرِ
قيسوا بشعرى شعره تعلموا — تضايق النهر عن البحرِ
من بطّل الحق هجا نفسه — بجهله من حيث لا يدرى
فناظرونى فيه أو فاشرحوا — شعرى ان أنكرتمو أمرى
أولا فقولوا : حسد قاتل — مستمكن فى القلب والصدرِ

وتذكرنا هذه التهمة ــ التى يخيل الينا أنها رخيصة وغير صحيحة ــ بما اتهم به الوزير المصرى طلائع بن رزيك ــ الملقب بالملك الصالح ــ من أن الأديب الشاعر المصرى المهذب بن الزبير كان يعمل له شعره .. فقد استكثر الأديب المؤرخ العماد الأصبهانى ــ صاحب الخريدة ــ على الوزير المصرى طلائع بن رزيك أن يكون له هذا الشعر الجيد البليغ المحكم المعانى ، فقال وهو يترجم له

فى الخريدة (... وله قصائد كثيرة مستحسنة ، أنفذها الى الشام ، يذكر فيها قيامه بنصر الاسلام . وما يصدق أحد أن ذلك شعره لجودته ، واحكام مبانى حكمته ، وأقسام معانى بلاغته ، فيقال ان «المهذب بن الزبير» كان ينظم له ، وأن « الجليس بن الحباب » كان يعينه)(١) . ولم تقف هذه التهمة لطلائع بن رزيك عند العماد الأصبهانى صاحب الخريدة ، بل أن ياقوتاً الحموى صاحب معجم الأدباء يؤكدها قائلا : (ان أكثر الشعر الذى فى ديوان الصالح ـ يعنى طلائع بن رزيك ـ انما هو من عمل المهذب بن الزبير ، وحصل له من الصالح مال جم ، ولم ينفق عنده أحد مثله ...)(٢) .

ولا حاجة الى القول أن اتهام الشاعر تميم بن المعز بأن غيره كان يشاركه فى عمل شعره انما هو اتهام يحتاج الى دليل . وها هو ذا ديوان تميم ابن المعز كله على ضخامته بين أيدينا ، نقرؤه

(١) خريدة القصر ، وجريدة العصر - جـ١ ص١٧٤ .
(٢) معجم الأدباء - طبعة د. فريد رفاعي - جـ٩ ص٤٧ .

مرة ، ومرة ، ثم نبدىء و نعيد النظر فيه ، ثم ننتقل من صفحة الى صفحة ، ومن قطعة الى قطعة ، ومن قصيدة مطولة الى أخرى ، فنجد النفس فيه مستوياً ، لا دخل لنفس آخر فيه ، ولا نجد فيه علواً أو هبوطاً ـ كما هو الشأن عند اختلاف الناظم ، بل نجده كله على مستوى واحد من الجودة ، ومن الروح الواحدة ، ومن المذاق الواحد ، الذى قد يتغير بتغير الناظمين . ولماذا يستكثر الشعر الجيد على شاعر كتميم بن المعز ، أو شاعر فاطمى آخر مثل طلائع بن رزيك ألأن الأول من أولاد الخلفاء ، والثانى من جلة الوزراء والأمراء ؟ الحق أن الشعر موهبة قد تعطى للأمير كما تعطى للفقير . وقد كان هناك فى الأدب العربي ملوك و أمراء يقولون الشعر ويجيدونه ، كامرىء القيس فى الجاهلية ، وعبد الله بن المعتز في الاسلام . فلماذا لم يستكثر عليهم ما استكثر على « تميم » و « طلائع » فى العصر الفاطمى ؟

تميم بن المعز في كتب التاريخ والأدب

لقد كنا نطمع أن نجد لتميم بن المعز عند المؤرخين ورجال التراجم اهتماماً كبيراً بما له من مكانة شعرية فى أوائل العصر الفاطمى ، وبما لشعره من قيمة أدبية كبيرة لا نجدها عند كثير من شعراء العصر الفاطمى . ولكن يبدو أن رجال السُنَّة حاولوا بعد انقضاء الدولة الفاطمية الشيعية أن يسدلوا ستائر من النسيان على رجال ذلك العهد . فقد نظر أهل السُنَّة الى كثير من شخصيات العصر الفاطمى بعين الريبة والحذر الذى جر الى الاغفال والاهمال . ورأينا مؤرخاً اديباً منصفاً مثل العماد الأصبهانى صاحب الخريدة يقول عن شاعر مثل ظافر الحداد الأسكندري : (ظافر بحظه من الفضل ظافر ، يدل نظمه على أن أدبه وافر ، وشعره بوجه الرقة والسلاسة سافر ، وما أكمله لولا أنه من

مداح المصري والله له غافر)(١) ... فالشاعر ظافر الحداد يكاد يكون كاملا في نظر المؤرخ العماد لولا أن النقص يدخل عليه من جهة أنه مدح الخليفة الفاطمى ..!

وعلى الرغم من الاغفال المقصود الذى رمى به شاعرنا تميم بن المعز ، فقد استطاع بعض المنصفين من مؤرخينا أن يُحدِثوا له ذِكرا في مصنفاتهم ، وأن يتناولوه بالحديث الموجز ، وأن يسوقوا بعض النماذج من شعره .

ولعل ابن خلكان هو أوفى من استطاع أن يكتب فى « وفيات الأعيان » ترجمة لا بأس بها لهذا الشاعر المصري المظلوم . ولا تزيد ترجمة ابن خلكان للشاعر تميم بن المعز على صفحة واحدة من وفيات الأعيان . وبالطبع لم يأت فيها بكل ما يراد معرفته عن شاعرنا ؛ ولكنه استطاع أن يقول لنا أن أباه المعز لدين الله كان صاحب الديار المصرية والمغرب ، وهو الذى بنى

---

(١) خريدة القصر – جـ٢ ص٣ .

القاهرة المعزية ، وأن تميماً هذا كان فاضلا شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً ، وأنه لم يتول أمر المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز الذى وليها بعد أبيه . وأن العزيز كان له أيضاً أشعار جيدة كأخيه ، وأن الثعالبى ذكرهما فى اليتيمة ، وأورد لهما كثيراً من المقاطيع ، وأن أشعار تميم كلها حسنة ، وأن وفاته كانت في ذي القعدة سنة اربع وسبعين وثلاثمائة بمصر ، وأن أخاه الخليفة العزيز نزار بن المعز حضر الصلاة عليه فى بستانه ، وغسله القاضى محمد بن النعمان ، وكفنه في ستين ثوباً ، وأخرجه من البستان مع المغرب ، وصلى عليه بالقرافة وحمله الى القصر فدفنه بالحجرة التى فيها قبر أبيه المعز .

ثم أورد ابن خلكان في خلال هذه الترجمة الموجزة ثلاث مقاطيع من شعره اختارها من قصائد مختلفة ، ونقل احداها عن يتيمة الدهر للثعالبى ، وذكر بيتاً ينسب اليه وهو :

وكما يمل الدهر من اعطائه فكذا ملالته من الحرمان

على أن صاحب يتيمة الدهر لم يطل فى ترجمته للشاعر تميم أو التعريف به ، ولكنه أطال فيما أورده له من شعر . وقد ذكره مرتين : مرة في معرض الحديث عن ملح أهل الشام ومصر والمغرب وطرف أشعارهم ونوادرهم ، ومرة فى التعريف به حيث قال عنه انه أبو على تميم بن معد صاحب مصر ، وأورد له طائفة لا بأس بها من شعره الذى أنشده اياه الراوية علي بن مأمون المصيصى . وقد طال القدر المستشهد به هنا من شعر تميم حتى بلغ سبع صفحات .

ولم يفت المؤرخ الامام أبا الفرج بن الجوزى المتوفي سنة ٥٩٧هـ أن يترجم للشاعر تميم بن المعز فى وفيات سنة ٣٦٨هـ . وابن الجوزى هنا يخالف ابن خلكان في سنة الوفاة . والحق أننا لا نستطيع أن نقول أى التاريخين أضبط . وفرق ست سنوات في الخلاف ليس شيئاً كبيراً بالنسبة لما يصادفنا في وفيات الرجال من اختلافات كبيرة، وقد يأتى الخطأ هنا من ناحية الرواة أنفسهم ،

ومهما يكن من أمر فان المؤرخ ابن الجوزى يذكر عن الشاعر تميم أنه أحد أولاد المعز لدين الله الفاطمى ، وأنه كان فيه (فضل ووفاء وكرم وفصاحة ، وله شعر حسن) .

واذا كان ابن الجوزى وابن خلكان قد اشتركا فى وصف الشاعر تميم بن المعز بالشاعرية الحسنة والفضل ، فان ابن خلكان انفرد بوصفه بالمهارة واللطف والظرف ، كما انفرد ابن الجوزى بوصفه بالوفاء والكرم والفصاحة ، وهى صفات تدل فى مجموعها على ما اختص به « تميم » من اخلاق .

ولقد أورد ابن الجوزى حكاية طريفة عن الشاعر تميم بن المعز لا بأس من ايرادها هنا لما فيها من دلالة على محاسن الطبع عند شاعرنا . قال أبو علي الحسن بن الأشكرى المصري : (كنت من جُلاّس الأمير تميم بن المعز وممن غلب عليه جداً ، فبعث بى الى بغداد ، فاشتريت له جارية رائعة من أفضل ما وجد فى الحسن والغناء ، فلما

وصلت اليه أقام دعوة لجلسائه وأنا فيهم ، ثم وضعت الستارة وأمرها بالغناء ، فغنت :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى
برق تألق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ، ودونه
صعب الذرا متمنع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق
نظراً اليه ، وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه
والماء ما سحت به أجفانه

قال : أحسنت ، وطرب تميم وكل من حضر ، ثم غَنَّت :

سيسليك عما فات أول مفضل
أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه ، وألف شخصه
على البر مذ شُدّت عليه مآزره

فطرب الأمير تميم ومن حضر طرباً شديداً . ثم غَنَّت :

أستودع الله فى بغداد لى قمراً
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

فاشتد طرب تميم . وأفرط جداً ، ثم قال لها : تمنى ما شئت فلك مُناك . فقالت : أتمنى عافية الأمير وبقاءه . فقال : والله لا بد لك أن تتمنى . فقالت : على الوفاء أيها الأمير بما أتمنى ؟ فقال: نعم ! فقالت :أتمنى أن أغني هذه النوبة ببغداد. فامتقع لون تميم وتغيَّر لونه ، وتكدر المجلس ، وقام وقمنا كلنا . قال ابن الأشكري : فلحقني بعض خدمه وقال لى : ارجع فالأمير يدعوك . فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني . فسلمت وجلست بين يديه . فقال : ويحك ! أرأيت ما امتحنا به ؟ قلت : نعم أيها الأمير . قال : لا بد من الوفاء لها ، وما أثق فى هذا بغيرك . فتأهب لتحملها الى بغداد ، فاذا غَنَّت هناك فاصرفها . فقلت : سمعاً وطاعة . قال : ثم قمت وتأهبت ، وأمرها بالتأهب ، وأصحبها جارية له سوداء تعادلها وتخدمها . وأمر بناقة ومحمل ، فأدخلت فيه ، وحملها معى ، ثم صرت الى مكة مع القافلة ، فقضينا حجنا ، ثم دخلنا في قافلة

العـــراق ، وسرنا . فلما وردنا القادســـية أتتنى السوداء عنها ، فقالت : تقول لك سيدتى : أين نحن ؟ فقلت لهـــا : نحـــن نـــزول بالقادســـية . فانصرفت اليها فأخبرتها . فلم أنشب أن سمعت صوتها تدافع بالغناء :

لمـــا وردت القادســـية حيث مجتمـــــع الرفاقِ
وشممت من أرض الحجـــا ز نســـيم أرواح العراقِ
أيقنت لى ولمـــــن أحـــــــب بجمـــع شمل واتفاقِ
وضحكت من فرح اللقـــا ء كمـــا بكيت من الفراقِ

فتصايح الناس من أقطار القـــافلة : أعيدى بالله ! أعيدى بالله . قال : فما سمع لها كلمة . قال : ثم نزلنا بالياسرية وبينها وبين بغداد قرب فى بساتين متصلة ينزلها الناس فيبيتون ليلتهم ثم يبكرون لدخول بغداد . فلما كان قريب الصباح اذا بالســـوداء أتتنى مذعـــورة ، فقلت : مالك ؟ فقـــالت : ان ســـيدتى ليست حاضرة ، فقلت : وأيـــن هي ؟ قالت : والله ما أدرى ! قال : فـــلم أحس لهـــا أثرأ بعـــد . ودخلت بغـــداد وقضيت حوائجى منها ، وانصرفت اليه فأخبرته الخـــبر ،

فعظم ذلك عليه ، واغتم له . ثم ما زال بعد ذلك ذاكراً لها ، واجماً عليها) .

وهـذه الحكاية الطريفـة تدل على وفاء من الشاعر تميم ، فقـد امتحن بحب هذه الجـارية وتعلقه بها ،ولكنه قال لجليسه الأشكري المصري: لا بد لها من الوفاء بما وعدها به من أن ترجـع الى بغداد ، فجهز لها راحلة ورفيقة سفر على أمل أن تعود اليه فيمصر بعد قضاء أربها من العراق، ولكنها لم تعد وعاد جليسه منفرداً خالياً منها ، فترك ذلك فى نفس شاعرنا غمـَّـاً عظيماً .

ويبدو أن هذه الحـكاية الطريفة التى رواها ابن الجوزى صاحب (المنتظم) نقلا عن راويهـا وشاهدها الأول : الأشكري المصري ، قد أعجبت مؤرخنا ابن كثير صاحب (البـداية والنهـاية) والمتوفى سنة ٧٧٤هـ ، فرواها(١) ولكن باختصار شديد ، فحذف الشعر الذى غـَنـَّته الجـارية الا

(١) البداية والنهاية ـ جـ١١ ص٢٩٣ .

الأبيــات النونيــة الأولى ، وأوجــز فى تفصــيل الحوادث التى أطال فيهــا ابن الجوزى ، وتصرف فى النص بكلام من عنده ، فجعل ختامها كما يلى :
(فلمــا سمع تميم خبرها شق عليه ذلك ، وتألم ألماً شديداً ، وندم ندماً شديداً ، حيث لا ينفعــه الندم ...) .

ولقد روى ابن كثير في البداية هذه الحكاية في خلال ترجمته لتميم بن المعز الفاطمى فى وفيات سنة ٣٦٨هـ .

وما دام ابن كثير قد أخذ ترجمتــه للشــاعر تميم عن المؤرخ ابن الجوزى ، فانه بالطبع قــد أخــذ عنه تاريخ وفاته الذى ذكره وجعله ســنة ٣٦٨هـ ، كما أخذ ذلك صاحب النجوم الزاهرة كما سلف القول ، وكما أخذه السيوطى المؤرخ فى (حسن المحاضرة) الا أن تحريفــاً وقع فيــه فصار ٦٦٨هـ بدلا من سنة ٣٦٨هـ .

وحــين ترجم الســيوطى لتميم بن المعــز فى الفصل الذى عقده بعنوان (ذكر من كان بمصر

من الشعراء والأدباء) فانه نقل حكاية الجارية عن المؤرخ ابن كثير بايجازها ، ولم ينقلها عن مصدرها الأول في كتاب «المنتظم» ، ثم تصرف فى النص على عادة المؤرخين حين ينقلون ، فجعل الخاتمة هكذا : (فلما وصل الخبر الى تميم تألم ألماً شديداً . .) وأشار السيوطى فى خلال تعريفه الوجيز بالشاعر تميم الى أن ابن سعيد المغربي ذكره فى شعراء مصر ، وتبعه ابن فضل الله العمري فى (مسالك الأبصار) .

وليست اشارة ابن سعيد المغربى الى الشاعر تميم بن المعز الا من باب الاشارات العابرة ، فقد ذكره فى كتابه (المغرب) في معرض الحديث عن أبى ابراهيم الحسين الرسِّى من أولاد الامام علي بن أبى طالب المقيمين بمصر ، وكان صديقاً لشاعرنا يتقارضان الشعر ، ويجاوبان بالنظم . ويكثران الخروج الى بساتين الأمير وفرجه ، وروى له المحاورة الشعرية التى يرد بها على الرسِّى قائلا :

بلغت ببلاغتـــك البـــديع وأكثـــرا
فنظمت في الآداب لفظـــك جـــوهرا

وشـــعرت ، حتى كدت تمنـــع كل من
حاك القـــوافي فى الورى أن يشعرا(١)

كمـا ذكره فى كتـابه (عنـوان المرقصـات والمطربات) ، حين اختار له من الشعر المرقص قوله في الغزل :

أطلـــع الحســـن من جبينـــك شمساً
فـــوق ورد مـــن وجنتيـــك أطـــلا

فـــكأن العـــذار خاف على الـــور
د جفـــافاً ، فمـــد بالشـــعر ظلا(٢)

أما عليّ بن الحسن الباخرزى ـ صاحب دمية القصر ، وعصرة أهـل العصر ـ المتـوفى سـنة ٤٦٧هـ فقد ذكر تميم بن المعز مرتين في دميته . ذكره مرة تحت اسم : (تميم بن معـد صـاحب مصر) وروى له الأبيات السينية التى يقول فيها:

---

(١) المغرب لابن سعيد ، القسم الخاص بمصر ـ جـ١ ص٢٥٠ .

(٢) عنوان المرقصات لابن سعيد المغربي ص٥٨ .

يا ليــلة بات فيهــا البــدر معتنقى
وأمست الشـــمس لى من بعض جلاسى
وبت مســــتغنياً بالثغــر عن بــرد
وبالخـــدود عن التفــــاح والآسِ

كما روى له الأبيات النونية التى يقول فيها :

أسرب مهــاً عنَّ أم سِربُ جِنَّـــه
حكيتُنَّنَهُنَّ ولســـتنَّ هُنَّــه ؟
أأنتـــن أنجـــم ذا الجـــو أم
بـــروج النجــــوم جلابيبكُنَّه ؟
ولم أر غيـــداً ســـواكن مســـنَّ
فأشـــبهنَّ فى لينهـــــنَّ الأعنة

وأورد له بعض أبيات رائية في الغزل يقول فيها :

والله لـــولا أن يقـــال : تغيَّــــرا
وَصَبا ، وان كان التصـــابى أجــدرا
لأعـــدت تفـــاح الخـــدود بنفسجاً
لثمـــاً ، وكافــور الترائب عنــبرا

ووصفها الباخرزى بقوله : انهـا مستوفيــة لجمل الجمال .

أما المرة الثانيــة التى ذكر فيهــا البــاخرزى شاعرنا تميماً ، فقد جعل اسمه (تميم بن المعز) ،

وكلتا التسميتين صحيحة ، فان أباه هو معـد ، الملقب بالمعـز ، وقد روى له قوله يخاطب أخاه الخليفة الفاطمى العزيز نزاراً :

الله ولاك الخلافة ، فانتقم لبنى علي من بنى العباس !

ويؤكد لنـا البيت قليلا من كثير من مظـاهر المنافسـة والصراع بين العلويين وأبنـاء عمهم العباسيين .

أما المؤرخ ابن تَغرى بردى صاحب « النجوم الزاهرة » ، فقد ذكر شـاعرنا تميماً فى وفيـات سنة ٣٦٨هـ ـ وهي السنة الثالثة من ولاية أخيه العـزيز نزار على مصر ، وترجم له ـ أو عرف به ـ تعريفاً وجيزاً فى سطرين يقـول فيهمـا : (وفيها توفي تميم بن المعز معد العبيدىالفاطمى، أخو العزيز هذا صاحب مصر . وكان تميم أميز أولاد المعز ، وكانفاضلا ، جواداً ، سمحاً ، يقول الشـعر . وشـق موته على أخيه العزيز ...) ، ويلاحظ أنه تابع فى تاريخ وفاة الشاعر ما ذكره من قبله المؤرخ ابن الجوزى فى « المنتظم » .

ولا ننسى أن فى (سيرة الأستاذ جُوذر) من تصنيف أبى عليّ العزيزي الجوذري قدراً لا بأس به من أخبار الشاعر تميم بن المعز .

هذا كل ما جاء فى الكتب القديمة من سيرة الشاعر تميم بن المعز وأخباره وأشعاره . وقد ظل الرجل ملقى فى زوايا الاهمال والنسيان عهداً طويلا لا يتفق ومكانته فى الشعر المصري ، الى أن جاء العصر الحديث، وكان المرحوم الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصري بجامعة القاهرة معنياً بأخبار الفاطميين فى مصر ، فلما التقى بشاعرنا فى نسخة مخطوطة من ديوانه أحب شعره ووجد فيه من القيم الأدبية ما لا يجوز اغفاله ، فكتب عنه في غير كتاب واحد من كتبه، وتناوله بالحديث عنه فى كتابه : (فى أدب مصر الفاطمية) ، وذكره فى هذا الكتاب فى أكثر من خمسة وعشرين موضعاً ، وقال عنه فى الفصل الذى عقده خاصاً بالشعر والأئمة الفاطميين أنه هو الشاعر الذى يقرن دائماً بالشاعر ابن المعتز

العباسى ، لما بينهما من تشابه . فكلا الشاعرين من بيت خلافة ، وكلا الشاعرين من شعراء البديع ، وكلاهما ممن أكثر من الوصفوالمجون، وكلاهما دافع عن عقيدته وحق ذويه في الخلافة . فهما متشابهان فى أمور كثيرة جعلت مؤرخى الأدب العربي يقرنون بينهما دائماً ... وهذا التشابه بين تميم وابن المعتز ، الذى يشير اليه المرحوم الدكتور محمد كامل حسين ، قد ذكره ابن فضل الله العمرى فى « مسالك الأبصار » ، ونقله عنه السيوطى فى « حسن المحاضرة » حيث يقول صاحب المسالك : (تشبه بابن عمه المعتز ، وتشبث بذيله فما قدر أن يبتز . وهو وان لم يزاحم ابن المعتز فانه لا يقع دون مطاره ، ولا يقصِّر ذهبه الموزون عن قنطاره ...)(١) .

وعلى الرغم من نزعات اللهو والمجون التى غلبتعلى الشاعر تميم بن المعز وعلى شعره ، حتى

(١) حسن المحاضرة ـ جـ١ ص٥٦٠ تحقيق محمد أبو لفضل ابراهيم .

تكاد تكون صورة صارخة فى ديوانه الضخم ، فان صاحب كتـاب (فى أدب مصر الفاطمية) قـد لاحظ بالطبع هذه الظـاهرة الواضحة فى شـعر واحد من أبناء الخلافة ، بل في شعر ابن خليفـة فاطمى ، وأخى خليفـة فاطمى ، ولـكنه ـ مع هذا ـ قدره في آخر الترجمة له بقوله : (وشعره ان دل على شيء فانما يدل على رقة شعوره ، ورقة العاطفة وصدقها ..)(١) .

على أن مؤرخاً أديباً معاصراً هو المرحوم محمود مصطفى الأسـتاذ بكلية اللغة العربية بالجامعـة الأزهرية كان من أوائل من نبهوا الى الشـاعر تميم بن المعز ، والى القِيَم الجماليـة في شعره ، فاتى به على رأس من ترجم لهم من شعراء الدولة الفاطمية . وعلى ما فى ترجمتـه من ايجاز فانه ساق بعض نماذج من شعره في الغزل والشـكوى ووصف نيل مصر ، وكان مجمـل رأيه فيـه أنه (طرق في شعره أغلب أغراض الشعر ، ولـكن

(١) فى ادب مصر الفاطمية ـ ص١٧٣ .

يغلب عليـه الغـزل ، وهو أليق الأغراض بأمير متـرف كتميم ، وقـد رق غزله حتى كان منـه ما يتغنى به ...)(١) .

واذا كانت دار الـكتب المصرية قد أنصفت كل الانصاف باصدار ديوان تميم بن المعز ، فان المقـدمة التي كتبها المحققان فى سـيرة شـاعرنا وحياته وشعره تعد من الدراسات الجيدة المنصفة التى كانت ثمرة جهـد كبير ، وتحقيق دقيـق . وبهذا أضافت الى الحصيلة الأدبيـة التى كتبهـا القدامى والمحدثون عن هذا الشاعر الأمير الذى يعـد مفخرة للشـعر المصري فى عصر من أزهى عصور الحضارة المصرية .

(١) الأدب العربي في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الايوبي ـ ص٢٢٥ .

صورة خلقية

نستطيع مما ذكره بعض مؤرخى الأدبورجال السير والطبقات عن شاعرنا تميم بن المعز ، ومما قاله هو عن نفسه فى شعره ونضحت به بعض اشعاره وبعض مسارات سلوكه ، أن نرسمصورة تكاد تكون أقرب الى الحق فى رسم ملامح تميم بن المعز .

لقد وصفه المؤرخ ابن خلكان فى وفيات الأعيان بأنه كان (فاضلا شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً) . ووصفه المؤرخ ابن الجوزى بأنه كان فيه (فضل ووفاء وكرم وفصاحة ..) . ثم جاء المؤرخ الأتابكى صاحب النجوم الزاهرة ، فوصفه بأنه كان (فاضلا ، جواداً ، سمحاً ، يقول الشعر ، وشق موته على أخيه العزيز ...) . ويقول عنه الدكتور محمد كامل حسين (بأن

شعره يدل على رقة شعوره ، ورقة العاطفة وصدقها) .

فنحن هنا أمام شاعر تكاد تلتقى الصفات على نعته بالفضل والوفاء والجود ، والسماحة ، ورقة الشعور وصدق العاطفة .

ويظهر أن الظروف السياسية الكثيرة التى مرّت بالشاعر تميم ، وما تعرض له من سخط والده المعز لدين الله عليه بسبب انحرافاته السياسية والشخصية ، وما أصيب به من صرف عن ولاية العهد ، وقطع الأمل منها فى مرتين اثنتين ، وما نكب به من ضياع الخلافة منه ومن ولده على كل ذلك ، قد جعله يسىء الظن بالناس جميعاً . فهو يوقن أن الانسان وغد ، وأن أهل زمانه خليون من الوفاء ، وأن قلوبهم طافحة بالحقد الذى يؤججها ناراً حامية . مما جعله يشكو من الناس حتى فى المواطن التى لا تتوقع منها الشكاة . ففى احدى مدائحه لأبيه المعز ـ وما أكثر ما مدحه ـ يقول فى مرارة :

ومن كان ذا علم بأهل زمانه
تيقن أن الناس كلهمو وغد
وأنهمو لا يسترق حفاظهم
وفاء ، ولا يفنى لهم أبداً حقد
اذا فرقوا أبدوا ودادا وذلة
وأنفسهم حرب وألسنهم لُدّ
فلا ترحم الأعداء يوماً ، ولا تلم
حسوداً ، فما ان يرتضي ضده الضد

ولعل شاعرنا حين صدمته الأحداث، وعاكسته الظروف ، برم بالناس، واستوحش منهم، وآنس العزلة فى بساتينه وقصوره .

على أنه وهو فى مغدى ومراح من مسارح لهوه لم يحبس يده عن معروف ، ولم يغلّها عن كرم . فهو كريم يجود بكل شىء ، وهو يستهدى الصحاب ويهدى اليهم . وفى ديوانه كثير من شعر الاهداء والاستهداء . وقد عرف بعض الناس ميله الى القلم والى الكتب ـ وخاصة كتب الأدب والشعر والعلم ـ فأتحفوه بهدايا من هذا اللون الذى يحبه . وهو يتقبل هذه الهدايا بحسن القبول ، ولطف التلقى ، ويشكر أصحابها عليها

شعراً ، كالذى فعله حين أهدى اليه بعض الأصحاب كتاباً فيه شعر وعلم فكتب اليه :

وصـــلت هديتـــك التى هذبتهـــا
تهذيبهـــا في الـــوزن والمنثور
دريـــة الآداب الا أنهـــا
معشـــوقة التطـــويل والتقصير
هي كالرياض اذا تضـــاحك نـــورها
وصـــفاء ودك فيـــه كالكافور

وهو يهدى الى أصحابه الهدايا ، فاذا شكروه عليها بالشعر ، أجابهم كذلك بالشـعر ، كالذى فعـله حين أهـدى الى أبى عبـد الله الحسـين بن ابراهيم الرسّى غروساً من الزهر ، فلما شكره المهدى اليه شعراً أجابه بشعر يقول فيه :

أما الريـــاض فانهـــا مسروقـــة
للنبت مـــن الفـــاظك الفراءِ
اِنى بعثت بهـــا اِليـــك ، وانهـــا
لـــذوات اطـــراق ، وذات حياءِ
كالشيء يســـتهديه منى ربـــه
أنت الأحـــق بهـــا وبالاهداءِ
منك اســـتعار الحســـن كل محسَّن
فـــلك انتســـاب محاســـن الأشياءِ

وعلى الرغم من حياة القصف واللهو والمجون، التى اختارها الشاعر تميم بن المعز لنفسه ، فقد كان فيه ضراعة وخشوع قد يظنان لأول وهلة تناقضاً لحياة المجون ، ولكنهما فى الحق تكفير عن الذنب ، وشعور بالاثم ، واتجاه الى الله بالمغفرة . فليس غريباً أن نجد فى ديوان تميم ابن المعز شعر الزهد والخشوع والضراعة والتبتُّل ، بجانب شعر اللهو والعبث .

وحين تقرأ زهديات تميم وضراعاته يخيل اليك أنك أمام شاعر من أتقى الأتقياء ، ممن قطعوا بالحياة كلَّ صلة ، وبتّوا بالدنيا الغَرور كل علاقة . فقد زار مرة القرافة ـ وهي دار الموتى ـ فأوحت اليه هذه الزيارة بقصيدة يقول فيها :

رجوتك يا رب لا اننى ... أطعتك طوع أولى الانتهاءِ
ولكننى مؤمن ، موقن ... بانك رب الورى والسماءِ
وأنك أهل لحسن الظنون ... وأنك أهل لحسن الرجاءِ

فالشـــاعر هنـــا ــ وفى مقام العبرة ــ يحسن ظنه بالله ، ويحسن رجاءه فيه ، لعل هذا الاحسان يمده بالطمع فى لهو يوم جديد ..!

وكان في شاعرنا تواضع للناس جميعاً عــلى الرغم من مكانه من بيت الخلافة ، ومنزلتـــه من الامارة الفاطمية . فهو ــ على الرغم من عزلته ــ ودود لمن يتودد اليه ، أَلوف لمن يألفه . وحينئذ ينسى أنه أمير بن خليفة أو أخ لخليفة ، فهو يدعو الى مشاركة النـــاس في سرّائهـــم وضرّائهـــم ، وينهى عن التكبُّر قائلا :

فكن لجميـــع النـــاس فيـــه مشـــاركاً
فعمـــا قليل ســـوف تصـــحو رعوده
ولا تتـــكبر ان قـــدرك فـــوق ما
ملـــكت ، وان الـــكبر مالا يزيده
وزد لعطـــاء الله ذل تواضـــــع
فانـــك والأقـــوام َ طرًا عبيده(١)

واذا كانت بعض المصادر تشير الى سماحة طبع الشاعر تميم بن المعز ، فان الأحداث المسطورة في

---

(١) ديوان الأمير تميم ــ ص١٣٨ .

الديوان تؤيد ذلك الخلق فيه ، فلم يكن حاقـداً ولا ذا غـل ، ولم يك فظـاً جافيـاً ، ولكنه كان رقيقاً فى طبعـه كما كان رقيقاً في شعره ، وكان واسع الصدر جميل المغفرة ، يقبل الاعتذار ممن أساء اليه أو قصر في حقه أو زل معه زلة عن غير قصد ، ويصفح عن الجانى وينسى اساءة المسىء ، بل يحتال الأعذار لصاحبـه حين تسلف اليه منه خطيئة . فقـد جرى من أحـد أصحابه نحوه ما أوجب على هذا الصاحب الاعتذار مما فرط منه، فكتب اليه شـاعرنا قابلا عذره ، غافراً ذنبه ، صافحاً عن زلته قائلا في سماحة طبع :

ما محـا الذنب عن ذوى الاقـتراف
قط كالاعتـذار والاعـتراف

قـد قبلنـا اعتـذارك المحض لمـا
جئت مسـتجدياً لعفـو معـاف

وصـفحنا عن زلة لم تكـن منـك
مـراداً ، ولا أتت عـن خـلاف

إن عـلمى بمحض ودك مغـن
لك عنـدى عن اعتـذار كـاف

لو أتى الذنب منـك في غـير سـهو
لقبلنـا الانصـاف بالانتصـاف

قـــد علمنـــا بأنك المخلص الحـــا
فظ للغيب والـــولي المصـــافى

وكما كان شاعرنا يقبل اعتذار المعتذر عن ذنب المقر بزلة ، فانه كان يعتذر هو نفسه عما يمكن أن يكون فرط منه فى حق أصحابه وأهله بلا قصد . وهو يرى الصغيرة تقع منه كبيرة فيلتمس الاعتذار عنها بما يرجو منه التكفير عنها . فقد حدث فى أثناء قيام أخيه الخليفة العزيز نزار بالخلافة الفاطمية أن عرضت له بعض أمور شغلته عن أن يقوم بواجب زيارته . فكتب الى أخيه معتذراً يقول :

ضرورة كـــان تأخـــيرى زيارتكـــم
وقـــد عفـــا الله قـــدماً عن أولى الضرر
لو لم يكن لى عـــذر أنت تعلمـــه
لجئت أســـعى بلا عـــذر ، على بصرى
مـــودة العـــين لا يزكو الوفاء بهـــا
والـــود بالقلب ، ليس الـــود بالنظر

وهو هنا ليس كريماً فى الاعتذار فحسب ، بل هو رجل لبق يؤكد لأخيه الخليفة أن انقطاعه عن

رؤيتــه لا يدل على ضعف في الود ، أو وهــن في الحب، فان المودة بالعين لا تؤكد وفاء ، ولا تزكى ولاء ، والعبرة بود القلوب لا بود الأنظار ...

ويجرنا الحــديث عن الوفاء الى ما امتــاز به الشاعر تميم بن المعز من وفاء نادر لأهل بيته ، وصحابته ، وكل من اتصل به . ويتجلى وفاؤه فى رثائه لأبيه الخليفة المعز ، رثاء حارأ على الرغم مما حدث في حجبه عن ولاية العهد . وهو يرثى أخاه (عبد الله) ثانى أبناء المعز الفاطمىوالتالى لتميم فى الولادة ، وقــد كان أبوه يهيئــه لولاية العهد قبل تميم الذى هو أكبر الأبنــاء وأحقهم بولاية العهد . وهو لا يرثى أخاه رثاء (رسمياً) متكلفاً ، ولكن رثاءه له يصدر عن عاطفة أخوية مشبوبة ، حيث يقول فيه :

يا أخي ! أي عــــــبرة ليس تهمى
وفـــــؤاد عليـــــك ليس يطير ؟

يا أخي ! ان بكتـــك عيني ، فــانى
بالبــــكا ، والاسى عليـــك جدير

يا أخى عبـــــد الله ! أى مســـــاع
لم يفقهـــــن ســــعيك المبرور ؟
يا أخى ! ان صـــاحبى وأخى بعــــد
ك تلهــــاب لوعـــــــة وزفير
وفـــؤاد عن الســـلو عنيـــد
ومــن الصــبر والعـــزاء نفور
كنتَ ملء الجفـــون نـــوراً فأمست
ملـــؤها مدمـــع عليـــك غزير
خاننى بعـــدك التجـــلد والصبـــ
ـــر عـــلى أننى الجليـــد الصبور ...

وقد بلغ من وفاء شاعرنا فى مراثيه أنه لم يتخلف عن رثاء جواريه وقيانه حين ينفذ فيهن حكم القضاء . فقبيل وفاته بشهور توفيت جارية له سنة ٣٧٤هـ فرثاها بقصيدة مؤثرة يقول فيها :

يا حبـــذا وصـــلك لو لم يبـــن
وحبــــذا قـــربك لـــو كان دام
ما كنـــت إلا كبــــدى قُطِّعت
ومقلـــتى بانت ، وقـــلبى استهام

وعلى الرغم من صفة التواضع التى تجلَّت فى أخلاق الشاعر تميم بن المعز ، فانه كان شديد الاحساس بنفسه وبكونه من أهل البيت العلويين

وكثيراً ما ساقه هذا الاحساس الى المغالاة بعرفان نفسه ، والى الغلو فى افتخاره . وديوانه مملوء بأشعار الفخر . والحق أنه هنا يعوِّض عما فقده من مراكز القوة فى الدولة الفاطمية ، فقد كان أولى بالخلافة من أخيه العزيز ، لولا أنه أضاعها بما جنت يداه من ممالأة على الساخطين على أبيه من ناحية ، ومن انصراف تام الى حياة اللهو والفراغ من ناحية أخرى . فلما رضى بانغماسه فى حياة لاهية بين القصف والمجون أراد أن يعوض عن ذلك بفخر يلجأ فيه دائماً الى شرف انتمائه الى البيت العلوى . وقد يُلجئه ذلك الى المبالغة والغلو ، كقوله :

جلت مساعيَّ عن الفخرِ
فهى نجوم الأنجم الزهرِ
وكيف يحصى الفخر تعديد ما
أحوى ، وقد زاد على القطرِ
من فضل نورى نور شمس الضحى
ومن سَنا عرضى سَنا البدرِ
أى كريم لم يشم شيمتى
وأى عافٍ لم يَرِد بحرى ؟

وأى مجـــد لـــم ألـــج بابـــه
وأى عـــلم لـــم يلـــج صدرى
يفتخـــر الفضـــل بكسبى لـــه
وتســـمع الأيـــام مـــن امرى

ولا يكتفى شاعرنا بأن يبلغ فى مبالغته وغلوه هذا المبلغ ، بل انه فى القصيدة نفسها يقسم بالبيت الحرام وحجاجه والركن والمشعر والحِجر أن الشمس فى جوها لو أضمرت له سوءاً لعادت وتوقفت عن الدوران !

أقســـم بالبيـــت ومَن حَجَّـــه
والركـــنِ والمشـــعرِ والحِجرِ
لو أضمرت لى الشـــمس في جـــوها
ســـوءاً لـــراحت وهى لا تجرى
وكـــل مـــن أبغضـــنى إنـــه
يمـــوت أو يحيـــا عـــلى صُغرِ

وهى مبالغات تذكرنا بمبالغات الشاعر المصرى ابن سناء الملك الذى جاء بعد تميم فى القرن السادس وتوفي فى القرن السابع سنة ٦٠٨هـ .

ويبدو لنا أن شاعرنا تميم بن المعز الفاطمى كان ذا شخصية مزدوجة ، فهو مجمع للنقائض فى وقت واحد . فبينما تراه عاكفاً على اللهو غارقاً فيه الى الأذقان ، اذا به فى اليوم نفسه زاهد خاشع لله تعالى ، كثير الخوف منه والرجاء فيه ...

ولقد اختلطت هذه الشخصية المزدوجة فيه اختلاطاً عجيباً ، أفقده التوازن فى الأمر ، ونسيان الاعتبار للمقامات التى يقال فيها الكلام . فهو فى مدحه يمزج المدائح بالخمريات والغزل المكشوف تارة ، والملفوف أخرى . وقد يكون المزج بين المدح والخمريات شيئاً غير معيب على أساس أن الشعراء قبل تميم كانوا يفعلون ذلك ، وكانوا يقدمون بين يدى مدائحهم وغيرها بالغزل والنسيب . ولكن أليس من مجافاة الاعتبار للمقامات أن يمدح شاعرنا تميم أباه المعز ، أو أخاه العزيز ، وهما خليفتان لدولة دينية اسلامية علوية ، فيقدم لمدحه بالغزل ناسياً مقام الخلافة الفاطمية .

فيقول متغزلا ومادحاً أخاه العزيز ، ويلاحظ أن هذه القصيدة هى أول ما قاله فى العزيز بمجرد توليه الخلافة :

جارية مرهفة القدِّ ظالمة مظلومة الخدِ
كالقمر الطالع ... لكنها فى حسنها كالرشأ الفردِ
فى ليلها البدر ، وفي دعصها غصن به رمانتا نهدِ
تبسم عن برق ، وعن لؤلؤ منظم أحلى من الشهدِ
بتنا معاً تحت ظلال الدجى من مفرش الورد على مهدِ

الى أن يدخل على مدح العزيز بعد هذا الغزل الصارخ بقوله :

لا زالت « الجيزة » معمورة بكل مخطوف الحشا نهدِ
أنى ألذ العيش فيها بما أولى (عزيزالدين) من رفدِ
المجد بسام الى ماجد أروع بسام الى المجدِ
كأنما راحته مزنة تَندَى بلا بَرق ولا رعدِ

وقد يكون الغزل والنسيب فى مطلع قصائد المديح مقبولا ومعروفاً عن الشعراء من قديم ، ولكن حين يصرح الشاعر بأنه بات تحت ظلال الدجى مع حبيبته ، ويعالن بذلك أمام أخيه

الخليفة الامام الفاطمى فذلك غير سائغ ولا مقبول .

وقد يكون التهتك وطرح الحياء ليس ضرورياً أمام الأخ الشقيق حتى وهو في مقام الخلافة ، وأبهة الملك ووقاره . ولكن مابال التوقر يخطىء شاعرنا تميم بن المعز وهو يمدح أباه المعز لدين الله أو يخاطبه شعراً ؟ أما كان الأَولى بصاحبنا أن يرعى لهذا المقام الأبوى الامامى جلاله ووقاره؟ ولكنا نراه يتغزل في مدحه لأبيه قائلا :

اذا وعدت هند ثنى جودها الوعد
وان سمحت يوماً فنائلها ثمد
يضيق بها خلخالها وسوارها
ويجذبها من خلفها كفل نهد
وان هي أسرت فى الدجى نَمَّ حسنها
عليها ، ونمَّ الحَلى ، والمسك ، والند

ويمضى فى مثل هذا الغزل ، ويطيل فيه فى القصيدة المدحية ، ثم يدخل على الفخر تخلصاً منه الى مدح والده حيث يقول :

وأزهـــد فى كل الأنـــام صـــيانة
لقدرى ، وأما فى المعـــز فلا زهـــد
هو الملك القـــرم الذى ســـبقت له
اليً أيـــاد ليس يحصى لها عـــد
وما راح عـــن كسب المحـــامد مُقصِراً
ولو خباتهـــا بين أنيابهـــا الأســـد

ويبدو أن شاعرنا قد أدرك بأَخرة أن مقام الأبوة والامامة الفاطمية أعلى من أن ينال بغزل. ولهـذا نراه فيمـا تلا ذلك من مدائـح لأبيـه المعز يعـرض عن هذين الغـرضين العارضين ، ويدخل على مدح والده بلا مقـدمات من غزل .. كما قال فى تهنئة يوم عيد :

ألا كلُ يـــوم مـــن زمانـــك عيـــدُ
وهـــل فـوق اشراق الضحاءِ مزيـــدُ
زمان كريعـــان الشـــبيبة ناعـــم
وعصـر قـديم (بالمعـــز) جديـــدُ
ولـــكنً يوم العيـــد خُصً بموقف
لـــه كـــل أيام الحيـــاة سعـــودُ
يلوح عليـــه من تجليـــك رونـــق
ويظهر فيـــه من سُـــناك وقـــودُ

وكقوله فى مطلع قصيدة أخرى يمدح بها أباه المعز ويشكره على فرس أنفذها اليه :

ألا هل لألفاظى طريق الى العذرِ
فدون الذى أوليته رتبة الشكرِ
وما الشعر فى قدر الأئمة زائد
ولكنَّ نظم الدر أشهى من النثرِ
وما هزَّنى الا الامام وعطفه
واطفاء ذاك الجمر من ذلك الصدرِ

وكقوله من أرجوزة أخرى وقد استهلها بمدح أبيه مباشرة من غير تمهيد :

يا من حوى الفضل ، وحاز الفخرا
وكسف الشمس ، وفاق البدرا
انى وان أتعبت فيك الفكرا
حتى أجدت وزنه والنثرا
لمستقل لعلاك الشعرا
يا من اذا ما جاد فاق القطرا
ويتبع المعروف منه العذرا
ويبذل المال ، ويشرى الشكرا

وكقوله مجيباً والده عن جواب كتبه اليه ، فقال بدون غزل ولا نسيب :

توسع دهر لم يضق بك وسعه
على أن أهل الذكر دونك والدهرُ
أُجلُّ (مَعَدا) أن أقول كأنه
وأكبره عن أن يحيط به الشعرُ
وقالوا من الشمس انتضى البدر نوره
ولو علموا قالوا هو الشمس والبدرُ

وكقوله مخاطباً أباه المعز وقد تناول دواء للتداوى :

يا سراج الأنام جنحَ الظلامِ
ومُبيدَ العُداة يوم اللطامِ
والذى جلَّ أن يساوى بشَمس
أو ببدر التمام عند التمامِ
والذى عمّ بالجدا والعطايا
والنوال الجزيل كلَّ الأنامِ
والذى يُرتجى لدين ودنيا
والمصفَّى من كل عيب وذامِ
والذى رأسه اذا أليل الخطـ
ـب وأعيا أمضى من الصمصامِ
والذى صَولته اذا صال في حر
ب الأعادى كصولة الضرغامِ
ان ذا اليوم اذ شربت دواء
فيه يوم من افضل الأيامِ ...

وهكذا استقام الأمر لشاعرنا فى مدح أبيه المعز فلم يقدم له بدواعى اللهو والقصف على عادته ، ولعله نُبِّه أو تنبَّه الى ما فى ذلك من مجافاة لمقامات الامام ...

وعلى الرغم مما مُنى به الشاعر تميم من صرفه عن ولاية العهد التى كانت ستفضى به الى الخلافة يوماً ما ، وعلى الرغم من أن أخاه نزاراً الملقب بالعزيز قد حل محله فى كرسى الخلافة الفاطمية ، فان شاعرنا لم يحقد يوماً على أبيه المعز ، ولا على أخيه العزيز ، بل كانت العلاقة بينه وبينهما على أحسن ما يكون ، على الرغم من سوء رأي أبيه فيه .. فهو كثير الاحترام لوالده ، مقر بالطاعة له ، وهو يبذل له من نفسه الكثير ، وهو يشكو اذا أحس والده المعز بألم ، كأنه هو المصاب بالداء دونه ، فتارة يكتب الى أبيه المعز مُسَلِّماً مشتاقاً فيقول :

كتبت ولو قدرت بقدر شوقى
لأفنيت القراطس والمدادا

ولــــكنى اقتصرتُ عـــلى ســـلام
يـــذكّرك الولايـــة والودادا ...

وتارة يقول له وقد شكا ألماً :

نفسى أحـــق بشـــدة الوجـــدِ
أبـــداً وأنت أحـــق بالمجـــدِ
الله يعـــلم والمعـــز مصـــدقى
لو كان يمكـــن دفـــع ما يـــردى
لجعـــلت نفسى جنـــة عن نفســـه
ووقيتـــه صرفَ المـــنى وَحـــدى
وبـــذلتُ ما عنـــدى له من حجـــة
وأن احتقـــرتُ له الـــذى عنـــدى

ولمـــا شكا المعز لدين الله علّته الأولى بمصر بعد أن قدمها من المغرب ، كان شاعرنا بعيـداً عن مصر ، فلما بلغه النبأ قَـلِـقَ على أبيه وكتب اليه قصيدة يقول فيها :

لا نالك السَّقَمُ المحـــذُور ان وَردا
وعشتَ فينـــا عـــزيزاً ســـالماً أبدا
الله يعـــلم أنى مذ ســـمعتُ بمـــا
دهاك ، عاود قـــلبى الشـــجوَ والكمدا
يا ليت ما يعـــتريه بى فأُنقـــذَه
أوليتنى واجـــد كـــلَّ الـــذى وجـدا

أَوليتَ كلَّ سرور يستبد به
دوني ، واغدو له مما يهم فدا

على أن الوالد المعز كان كثير البر بولده ، شديد العطف عليه، ويظهر أنه كان يُحبه حُبّاً جمّاً على الرغم من الخطة التى اختطها لنفسه بلهوه ومجونه . وقد أهدى مرة فرساً الى شاعرنا فنظم الشاعر قصيدة يشكر فيها والده بهذه المناسبة .

ولم يحمل شاعرنا لأخيه العزيز حقداً أو حسداً على أن الخلافة صارت اليه دونه ، بل ظل يسانده ويناصره ويرفع من روحه فى غاراته . فحين ظفر العزيز بأبى تغلب بن حمدان ابن ناصر الدولة ملك الموصل وديار ربيعة ، وكان قد خرج على الفاطميين ، نظم شاعرنا قصيدة يهنىء بها أخاه العزيز ويمدحه قائلا :

قل لأبى المنصور يا خيرَ مَن
أقام أو حثَّ لمجد ركاب
ويا اماماً قابلت مُلكَه
لوائحُ الاقبال من كل باب

خوّلَك القدرةَ والنصرَ مَن
حباكَ بالحُكم وفصل الخطاب
ان ابنَ حمدان عدَا رُشده
ورام أن يظفرَ جهلا فخاب
ظنٌ الذى أخلفه ظنه
فيها ، وخال الماء لمع السراب
فيا أبا تغلب سُؤتَ المنى
ومتّ بالتهديد قبل الضراب
كيف يلاقى الأسدَ مِنك امرؤ
قد فر من أدنى نُباح الكلاب ؟
حاربتَ بالبغي امامَ الهدى
ولم تَهب منه عزيزاً يُهاب

وحين انتصر العزيز بالله على الخارجين على الدولة الفاطمية بالشام، نظم أخوه شاعرنا تميم أبياتاً فى مدحه يقول فيها :

هَنَاكَ خليفة الله السرورُ
وما جاءت اليك به الدهورُ
وفتح جلّ موقعه الى أن ،
تعاظم أن يقاس به نظيرُ
غَدَت تُرك العراق لديه أسرى
ودَيلَمُها بعفوك تستجيرُ

وقـــد طارت قلوبهـــم خفـــوقا
الى أن لـــم تحصنهـــا الصدور

أثـــرتَ عليهـــم بالشـــام حـــرباً
تَضعضَعَ بالعـــراق لهـــا السرير

ودان بهـــا لك العـــاصى ، وألقت
أزمتهـــا لكفيـــك الأمور

وكان العزيز دائم الأفضال على أخيه الشاعر تميم بن المعز ، كثير الصلة به والتفقد والرعاية له ، فلم يكن في منعزله بالقصر والبساتين بعيداً عن ندى أخيه العزيز وعنايته . وكان فى شاعرنا وفاء وعرفان حتّما عليـه أن يعترف بأفضـال أخيه عليه فى كل مناسبة تخطر له ، فتارة يقول له :

كفئـــك كـــف تنهمى بالثـــواب
عفـــواً ، وكـــف تنهمى بالعقاب

كـــم مـــن يـــد أوليتَنى جمـــة
أَبَت بنعمـــاها لخـــير المآب

ما زلتَ تـــدنينى وتعـــلى يـــدى
فعـــلَ كـــريمِ الأصل ، حـــرّ النصاب

فـــرحتَ مِن نُعماكَ بادى الغـــنى
متمـــم الآمـــال رحـــب الجناب

والله ما فى جَسـدى شـعرة
الا وشُـكرى لك فيهـا سِخَاب

وأخرى يقول من تهنئة له بالعيد :

أطـابَ لى العيشَ أنى منـك منتصِر
بأنصرِ النـاس للقُـربى وللنسبِ
وأكثرِ النـاس ذبَّـاً عن ذوى رحـم
وأعلِم النـاس بالتفضـيل والأدبِ
وأننـا غُصْنا فَـرع يضمهمـا
الى أواصـر جَـد واحـد وأبِ
فمن عُـلاك معـالىً التى شَرُفَتَ
ومن أياديـك ما أحـوى من النشبِ

وثالثة يقول له :

أنت صيَّرتَ لى بنعمـاك فى كـلّ
صـباح مـن المـكارم عيدا
لا أَقـرَّ الاله عينـاً لشَايِنـ
ـكَ وأعطـاك فى البقـاء خلودا

ورابعة يهنئـه بعيـد الفطر سـنة ٣٦٨هـ ، فيقول :

بلغتُ بـك الحـال التى كنت ارتجى
عـلاها ، فعـالى غبطـة وسرورُ

ومالي لا أحوى بك العزَّ والمنى
وأنت على كل الأمور قدير
وكيف أخاف الحاسدين وبغيهم
وأنت عليهم لى يدٌ وأميرُ
كلانا لأصل واحد ، ولوالد
اذا ما دعانا الانتسابُ نصيرُ

وحين يَعِدُ الخليفة « العزيز » أخاه « تميماً » بشيء ثم لا تمكنه الظروف من القيام به ، فان شاعرنا لا ييأس ثقة من أخيه ، وقدرته على الوفاء ، بل يسترضيه بكل وسيلة ، ويذكره بسالف وعده كقوله :

ولم تَرضَ نفسى أن تذِل وتختذى
لغيرك اذ لا مَن سواك كثيرُ
فما بالُ وعدى لم يتمَّ ، وما له
تلوح عليه كآبة وفتورُ ؟
تأنَّيتُهُ شهرا أرجّى قضاءه
وشهر رهين الانتظار شهورُ
أيرجع من يرجوك للدهر صاغراً
وأنتَ على كل الأمور قديرُ
وكيف يخيب المرتجِى منك نائلا
وطائره بالسعد ظلَّ يطيرُ ؟

والحق أن رعاية العزيز لشاعرنا تميم كانت موصولة لا تنقطع الا لعذر قاهر ، فلم يقصر عن امداده بكل ما يمد له أسباب الحياة الهانئة . وقد تطول العزيز مرة بالفضل على أخيه تميم فبنى له مجلساً للهوه ... ولعله أراد بذلك أن يَمدَّ له فى أسباب الانشغال عن الخلافة والانصراف عنها مطلقاً ..! ولكنه ـ على كل حال ـ كرم ورعاية لم يَسَع شاعرَنا الا أن يقول فيهما :

أنعِم من العيش بما تشتهى
واطرَب ، ودَع من لام أو فنّدا
... فى مجلس أسَّسَ بنيانه
بالطائر السعد ، ورغَم العدا
وكيف لا يُشرق حسناً ، وقد
شيَّده رأي امام الهدى
المُلبسِى النُّعمَى التى صَيَّرت
أدانىَ اللحمة لى حُشَّدا

وقد بلغ من توالى انعام الخليفة العزيز على أخيه الشاعر تميم أن صاحبنا كاد يحصر ويعيا عن شكر أخيه ، وكاد يدركه الافحام من لطائف بره به ، حتى عَبَّرَ عن ذلك بقوله :

أفحمتنى بلطيف البر منـــك فمـــا
أدرى بـــأى مـــــكافأة أكافيكا ؟
حارت براعة فهمى فيـك فانحصـرت
عن وصف معنى وحيـــد من معانيكا
مـــاذا أعدّده حتى أقـــوم بـــه
شـــكرا ، وأذكـــره حـــتى أوفيكا ؟
اشراق وجهك لى ؟ أم حُسن فعلكَ بى ؟
أم انبســـاطك نحـــوى أم أياديكا ؟
الله جازيـــك عنّى يا خليفتَـــــه
جـــــزاءَ مقتــــدر ، والله راعيكا

ولم تكن علاقات شـاعرنا مع قرابته وأهـل بيته الا علاقة الرجل الودود الأَلوف المتبسط فى السلوك فى صـفاء ومحبـة . فقـد كان يوماً فى بسـتان بولاق ، فأرسل الى عمه (حيدرة) أخى الخليفـة المعز ، تُفاحاً ولَيموناً ووردأ وأترجا وغيره من أنواع الزهر ، وسـأله أن يقوم عنـه بايصال ذلك الى الخليفة العزيز بالله ، وكتب له مع هذا أبياتاً رقيقة يقول فيها :

يا عم ! لا زلتَ فى النعمـــاء محبـــورا
سـامى المحـل ، قـريرَ العين ، مسرورا

أبلغ ـ فديتك ـ مولانا وسيدَنا
ومَن غدا آمراً والدهرُ مأمورا
وقل له ظفرت كفَّاك واعترضت
لك السعودُ ، ولا لاقيت تكديرا

ولعل أجمل ما في خلال شاعرنا تميم من البر بأهله أنه كان يحفظ غيبتهم ، ويحترم شهودهم ، ويدافع عنهم قدر استطاعته ، ولا يُطيق أن يسمع يوماً نقيصة فيهم . ومما يؤيد هذا أنه كان جالساً يوماً في مجلس . فذُكر بعض قرابته بنقص في حضرته وعلى مسمع منه ، فما كان منه الا أن نصر قريبه على علاته قائلا :

فان يك كوكبه مظلماً
فاني لظلمته واقدُ
وان يكُ درهمُه زائفاً
فاني لزائفه ناقِدُ

وهكذا يكون البر بالأهل ، والانتصار لهم ، ولو كانت كواكبهم مظلمة ، ودراهمهم زائفة ، وعيوبهم سافرة ...

تميم الشاعر وأسلوبه

لا شك أن الشاعر تميم بن المعز شاعر مصرى متميز فى أوائل العصر الفاطمى . ولا يستطيع مؤرخ للأدب العربى والشعر فى الدولة الفاطمية أن يُغفل أو يسقط من حسابه هذا الشاعر الذى وُلِدَ بالمغرب وعاش فيه حتى أوفى على العشرين أو فوقها بقليل ، ثم شاءت الأقدار أن تُنزله (مصر) بعد أن تم فتحها على يد والده الخليفة المعز ، بالجيش الذى سيره وعلى رأسه القائد جوهر الصقلى . وقد دخل المعز مصر سنة ٣٦٢هـ بعد أن فتحها جوهر سنة ٣٥٨هـ ، ومعه أبناؤه وأُخوته وأهل بيته الفاطمى وجثث أسلافه . وكان شاعرنا فيمن دخلوا مصر وحُسِبوا فى حساب شعرائها منذ ذلك الحين .

ولقد تنبه الى قيمة الشاعر « تميم بن المعز » وشاعريته كثير من المؤرخين والأدباء القدامى ،

وكان شعره يتغنى به فى مصر في عصره وبعد عصره ، لرقَّته ولما فيه من غزل تنبسط اليه النفوس . وقد شهد له (بالشاعرية الحسنة) اثنان من المؤرخين الأدباء ، وهما ابن خلكان ، وابن الجوزى . وعلى الرغم من ضياع أخباره ، سجل له بعض الأدباء قصائد ومقطعات مختلفة كالثعالبى ، وابن خلكان ، وابن سعيد المغربى ، والامام السيوطى .

ولولا أن ديوان تميم ظل مفقوداً زماناً طويلا لانعَقَدَ له من الشهرة ، وحصل من المعرفة به والتعرف اليه أكثر مما ناله بكثير . ولعل لنسبه الفاطمى دخلا فى هذا ، فالفاطميون كانوا لغرابة مذهبهم الدينى وعقائدهم سبباً فى انصراف المصريين عنهم ، وما كادت تسقط دولتهم حتى عاد الى مصر وجهها السُنِّي المألوف ..

ومهما يكن من أمر فقد امتاز الشاعر تميم بتمكنه من الشعر وقدرته عليه ، وطول نفسه فيه . فمدحته الأولى لأخيه العزيز فى الديوان

تبلغ ٧٥ بيتاً ، وثانى قصائد الديوان فى الطَّرْد ، ومدح العزيز تبلغ ثمانين بيتاً .

وقد نظم شاعرنا من كل بحر ، وعلى كل وزن من الأوزان المألوفة . ونظم من البحور كاملة ومجزوءة ، ونظم قوافيه ورويه على كل حروف الهجاء ما عدا الثاء الفوقية المثلثة ، والذال المعجمة ، والغين المعجمة .

وكانت القافية سهلة منقادة له . فلا يجتلبها بقوة ، ولا يُنزلها غير منازلها ، ولا تشعر أن قوافيه قلقة أو فى غير موضعها . وهذه مواتاة فى النظم تدل على مواتاة في الطبع .

وقد آثر النظم على (الرجز) ، وخاصة حين كان يقول فى شعر الصيد والطَّرْد . وأراجيزه إمَّا كاملة أو مجزوءة . ومن مجزوء رجزه ما خاطب به صديقه ابن الرسِّي .

ومن أراجيزه الطرَدية أرجوزته التى يقول فى مطلعها :

قد أغتدى والليل فى دجاه
والصبح لم ينهض به سناه

وأرجوزته الهمزية التى يمدح فيها أخاه العزيز ويفتتحها بالطرد قائلا :

ومهمه مشتبه الأرجاء
جهم الفيافى ، موحش البهماء

وأرجوزته الدالية التى يقول فى مطلعها :

وصامت الجو بعيد الفرقد
مشتبه الأعلام جهم المشهد

وأرجوزته الرائية التى يمدح فيها أخاه العزيز ، ومطلعها :

ربع لأسماء بربع دار
بين نقا الصمان فالضمار

ويلاحظ أنه سلك فى أراجيزه مسلك الاغراب فى اللفظ كما كان يفعل الشعراء من قبله فى رجز الطرد . وذلك كقوله فى هذه الرائية المشار اليها :

تأبّدت الا من الاقفار
ومن شجيج فى الثرى مؤار

وشطر نؤى دارس الآثار
كأنه مقسم السوار

أخنى عليها كل غاد سارى
دانى الرباب ، شاسع الأقطار

واهى الكلى ، منفتق الأزرار
كأن لمع برقه المثار
يفتر عن مثل أوار النار

أما ألفاظه فى شعره غير الرجز فهى سهلة سمحة ليست غريبة ولا جافية ولا جاسية . ومن هنا كان فى شعره تلك الرقة التى جعلته صالحاً للغناء .

واذا كان فى ألفاظ شاعرنا رقة ، فان تعابيره فى جملتها رقيقة كذلك . وكأن مصر خلعت عليه من سهولتها ورقتها ما بان على شعره . وما أرق « تميماً » وهو يقول :

صننتك فى لحظي يا من غدت
تكاد من رقتها تجرى !

أو يقول متغزلا :

يا غــزالا اذا شــكو ت اليــه تصلفــا
واذا رمــتُ وصــلَه صــدّ عني وسَوّفــا
وهو من بَعــدِ ذا يَسُــلُ بعينيه مُرهَفــا
ليتــه جاد لى الغــدا ةَ بوعــد وأخلفــا !

ولقد بلغ من تمكُّن شاعرنا فى الشعر أنه كان يرتجل أحياناً فى بعض المناسبات العارضة التى لم يستعد لها ، فيأتى ارتجاله وبديهته مثل إعداده ، مما يدل على مطاوعة المعانى والألفاظ له ، وعدم معاصاتها اياه . ومن ارتجالاته اللطاف أبياته التى هنأ بها أخاه «العزيز» بقصر ابتَناهُ ، ومطلعها :

نجوم سعودك لا تفترُ وآيات فضلكَ لا تنكرُ
وفى كل ما أنت فعّاله لك المعجزاتُ التى تَبهَرُ
فمجدُكَ ما فوقه مصعَد وقَصرُكَ ما بعدَه مَنظرُ

واذا كان شاعر عباسي كابن المعتز يميل الى التشبيهات ، ويُغرب فيها ويحسن وكأنه يستمدها من بيئته ومواعين بيته ، فان شاعرنا تميماً كان كذلك مولعاً بكثرة التشبيهات ، وهى ظاهرة

نلاحظها في شعر ابن وكيع التنيسى ، والشريف العقيلى ، وظافر الحداد ، من شعراء العصر الفاطمى ، أو من شعراء مصر الفاطمية ، ولقد أكثر تميم من التشبيهات ، واستعمل للتشبيه كل أداة ممكنة ، كالكاف ، أو مثل ، أو كأن ، او يشبه ، أو تحسبه . كما استعمل التشبيه البليغ بحذف أداة التشبيه ووجه الشبه ، وابقاء المشبه والمشبه به ، ومن تشبيهاته قوله فى البدر :

والبدر منتصب ما بين أنجمه
كأنه ملك فى وسط موكبه

وقوله فى مدح العزيز :

كأن ملوك الأرض فى الأرض ظلمة
وأنت على الآفاق ضوء نهار

وبلغ من غرام شاعرنا تميم بالتشبيه أنه كان يلجأ الى توالى التشبيهات للمشبه الواحد فى البيت الواحد ، كقوله فى مدح العزيز :

أنت ليث ، وأنت بحـــــر ، وغيث
وســـحاب جــزل ، وشـــمس ، وبدر

فهنا ستة تشبيهات لمشبه واحد .

ويحفل شـعر تميم بظاهرتين اثنتين هما من أثـر البيئـة الفاطميـة التى دخـلت الى مصر بمعتقداتها ومذاهبها ، والبيئـة المصرية التى انتقل اليها شاعرنا بعد فتح مصر بأربع سنين . فقد أدخل فى شـعره كثيراً من عقـائد النحـلة الفاطمية وتصوراتها كقوله فى مدح العزيز :

انمـــا أنت (حجـــة الله) لاحت
فى البـــرايا ، ووارث الأنبيـــاء

وقـوله فى مـدح والده المعـز لدين الله الذى فُتحت مصر فى عهده :

ليهنـــك أن الله فـــوقك مـــالك
ودونَكَ كــلُّ المالــكين عبيـــد

أما البيئة المصرية فقد صورها تميم من نواح كثيرة تركت فى شـعره ملامح من مصر الخالدة ، فهو لا ينى يصف النيـل ، وبركة الحبش ، وعين

شمس ، ودير القصير ، وبلبيس . كما يصف بعض الأعياد والمواسم المصرية الخاصة . كليلة « غطاس النصارى » .

وقد تسرب الى أسلوب تميم بن المعز الشعرى بعض الهنوات التى لم يكن منها بُد ، لبدء دخول الفساد على اللغة والنحو من جهة ، وللتهاون الذى لم يعصم شاعرنا من الخطأ من جهة ثانية ، ولعدم اتاحة الثقافة اللغوية الصحيحة له من جهة ثالثة..

فنراه تارة يقصر الممدود ويمد المقصور لضرورة شعرية ، وقد يكون هذا مقبولا مستساغاً لو اعتدل فى استعماله ، أما الافراط فيه فذلك مما يعيب جمال شعره . ونراه تارة أخرى يلجأ الى لغة (أكلونى البراغيث) وهى لغة ضعيفة رديئة . وقد كان له عن استعمالها مندوحة لو تحرى وقصد الاستعمال الأعلى ، ولكنه تهاون وأسرف فى ذلك اسرافاً شديداً ، **كقوله :**

نظمتُهـا للهُـدَى ولَبَّتِـه
وان سخطن الكواعب العرب

بدلا من : وان سخط الكواعب . وكقوله :

وَقَرع « يزيد » بالقضيب لسنِّه
لقد مَجَسُوا أهلُ الشام وهادوا

بدلا من : لقد مَجسَ أهل الشام . وكقوله :

لو تأملنَني العيونُ لأجرى
لحظها رقة مع الماء جلدى

ونراه مرة ثانية يقطع همزة الوصل ، ويصل همزة القطع لضرورة شعرية ، كقوله :

أأحصى أياديه ومن بعضها أنا
أم أنعت جدواه ومِن بعضها قدرى

وكقوله فى مطلع قصيدة يخاطب فيها العزيز:

يا يوماً اسعفنا بكل سرور
طيبا ، فنلنا منه كل حبور

ونراه رابعة يستعمل لفظة (الرؤيا) خطأ بمعنى الا بِصار ، وهى لا تستعمل الا لما يرى في الحلم والمنام ، أما للابصار فتستعمل لفظة (الرؤية) .

ونراه خامسة يحذف المشبه الموصوف اكتفاء بفهمه من السياق ، وهى ظاهرة تلوح بكثرة فى شعره ، كقوله :

تفترّ عـــن كاللــؤلؤ المنضّـــدِ
صـــيغ لهـــا من عَسَـــل مجمَّـــد

وكقوله :

تفترّ عـــن كالجُمانِ منتظـــم
يصـــافح اللـــثم بـــارداً ، خصـــرا

وكقوله :

وهبـكَ سَـفرت عن كالصّبح حُسـنا
فـــكيف بَسَمتَ عن كالأقحـــوان ؟

وأصل الكلام فى هذا : تفتر عن ثغر أو أسنان كاللؤلؤ أو كالجمـــان . وهبك ســـفرت عن وجه كالصبح ، فكيف بسمت عن ثغر كالأقحوان .

ونراه مرة سادسة يحذف (أن) بعد الظرف: (قبل) كقوله :

ويمنعنى الشـــكوى الى الله علمـــه
بجمـــلة ما ألقـــاه قبـــل القـــول

أى (قبل أن أقول) . وكقوله من مدحه لأخيه العزيز :

لا أدّعى الفضل قبل يشهد لى
به أدانى الدنى وأقصاها

أى : (قبل أن يشهد لى به ..) . والأولى أن تذكر (أن) بعد الظرف .

ونراه سابعة يفصل بين أداة الجزم « لم » وبين فعلها بفاصل آخر غير الفعل ، مع أن المعهود فى أساليب الفصاح هو معاقبة الفعل للظرف « لم » مباشرة . وهذا يبدو غريباً ، كقوله :

وأنت السيف لا يَفرى
اذا ما لم - به - يُفرَى

وقد أغرم شاعرنا فى بعض شعره بنوع من البديع فشا فى العصور المتأخرة عن عصره ، ومنه قوله :

يداه ثم وجنته وقلبى
شهاب ، فى شهاب ، فى شهاب

عـــــداوتهم ، وعـــــذلهم جميعـــاً
ســـراب ، فى ســـراب ، فى ســـراب
بنفســـــجها ، ونرجســـــها ، وورد
خضـــاب ، فى خضـــاب ، فى خضـــاب

وهذا وأشباهه وغيره هو من الصناعات اللفظية المتكلفة ، التى بدأ بها تميم بن المعز فى العصـــر الفـــاطمى ، ثم أخذت تشيع على توالى العصـــور قرابة تسعمائة عام، الى أن تخلص منها بحمد الله عصرنا الحاضر تخلصاً بلا عودة ولا رجوع ..



أغراض من الشعر عالجها تميم بن المعز

لقد نظم تميم بن المعز الشعر فى الأغراض القديمة الموروثة المتعارفة بين الشعراء ، ولم يترك غرضاً من تلك الأغراض الا عالجه ونظم فيه ، ونستطيع أن نقول أنه كان نموذجاً مكرراً لمن سبقه من الشعراء .

أما مطالع قصائده فلم يستهلها بالوقوف على الأطلال ، لأنه لم يعد هناك أطلال يوقف عليها ، ويُبكى على دمنها ، ولكنه استهلها بالغزل الذى يتوصل به الى غرضه الرئيسى من القصيدة .

ولا نجد شاعرنا تميماً قد فاته غرض من الأغراض الشعرية التى كانت سائدة فى عصره ، وان كان قدر كل غرض يختلف بحسب أهميته لديه ، ومعالجته له . فنجده قال فى المدح والهجاء والتهنئة والرثاء والعزاء والغزل والوصف

والشكوى والاعتذار والعتاب والفخر ، بل نجده نظم فى الزهد والموعظة والحكمة .

وليس الزهد والموعظة غريبين من شعراء اللهو والغزل ، بل يبدو أن الزهادة ملازمة لهؤلاء الشعراء فى حال التناول أو فى حال التوبة على حد سواء . ولعلها بالطبع احساس منهم بالاثم ، وتكفير عن الذنب .

وسنتناول فى هذا الفصل الأغراض التى نظم فيها « تميم بن المعز » غرضاً غرضا ، متتبعين تطورات ذلك الغرض وملابساته واتجاهاته ، كالمدح مثلا ، فانا سنتعقب رأيه فى شعر المديح ، ومَن الذين مدحهم ، وهل كان يمدح مستجدياً أم مستغنياً ؟ وهل كان يمدح للمناسبات العارضة ، والظروف الطارئة أم يمدح بلا مناسبة ؟ وهل كانت مدائحه أصيلة أم عارضة في غير معرضها الأصلى ؟ وهل كان يدخل على المدح مباشرة في مطلع القصيدة أم يتوصل اليه بما كان يتوصل اليه الشعراء من غزل وغيره .

وكذلك سنفعل فى بقية الأغراض التى عالجها تميم مع الاستشهاد الحاضر الذى يؤكد القضية .

المـــدح

نلاحظ فى شعر المديح عند شاعرنا تميم أنه لم يرسله لكل انسان ، ولم يطلقه لكل ممدوح . وديوانه الضخم بين أيدينـــا يؤكد أن مدائحه لم تعدُ شخصين اثنين ، هما أبوه الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، وأخوه الخليفـــة العزيز . وهى مدائح أصلية بالمعنى المفهـــوم من شعر المديح . أما شعره الذى فيه تقـــدير واعـــلاء للرَّسِّيين الطالبيِّين وعلى رأسهم الحسن بن ابراهيم الرسِّي صديقه وصفيه ونديمـــه ، فهـــو لون من شعر الأخوانيات ، ولا يُعدُّ مدحاً بالمعنى المفهوم .

وبالطبع لم يكن مقام الشاعر تميم بن المعز ، وموضـــعه من البيت الفـــاطمى ، ومـــكانه من الخليفتـــين المعـــز لدين الله ، والعزيز ــ لم يكن ذلك ليسمح له أن يمدح انساناً غيرهما مهما كان

قدره . ولعل احساساً بالاستعلاء يملى على شاعرنا أن لا يتوجه لغير والده وأخيه بالمدائح . والمدائح في أغلبها مظنة الفائدة التى تعود على المادح من الممدوح . وشاعرنا « تميم » لا يرجو فائدة ، ولا يلتمس نفعاً ولا جدوى من انسان ، لذلك ظلت مدائحه محصورة فى نطاق والده المعز ، وأخيه العزيز ، كما ظلت تقديراته الأخلاقية محصورة فى نطاق الحسن بن ابراهيم الرسِّي ، وهو من أشراف العلويين ؛ فاذا مدح مدح اخاء فلا ينقص ذلك من قدر مادحه **شيئاً** .

والرسِّيُّون - بهذه المناسبة - من نسل الحسن بن علي بن أبى طالب ، فهم يلتقون مع الشاعر تميم بن المعز فى أكثر من ملتقى . ونسبتهم الى الرسِّ ، وهو جبل بين اليمن وعُمان . وقد سكن جماعة منهم بمصر ، وكان منهم الشاعر الحَسَنُ الرسِّي الذى كان يتقارض الأشعار مع شاعرنا تميم .

وشاعرنا تميم يوقن بأن المديح هو أغلى ما يقدمه الشاعر ، وأبقاه على الدهر ، وكل ما عداه ـ مما يقدم الى الغير ـ من الهوالك الفانية . ولهذا كان من سنته اذا أرسل هدية لأبيه أو لأخيه قدم بين يديها بالشعر ، لأن الشعر هو أغلى الهدايا . ويعبر عن هذا بقوله من قصيدة يهنىء بها أخاه العزيز بسلامته من انفصد ، وقد بعث مع التهنئة الشعرية هدية مادية .

بعثتُ بمدحي قبلَ كلٍّ هدية
لأني له ـ دون الهدية ـ مالك
ولا شيء غيرَ المدحِ يبقى لأنه
مقيم جديد ، والهدايا هوالك

ويتقصى شاعرنا فى ممدوحه كل الصفات الطيبة ، والخلال الكريمة التى امتاز بها . فأبوه المعز ـ مثلاً ـ ملك قرم سبقت اليه عوارفه ، لم يقصر عن كسب المحامد ولو كانت بين أنياب الأُسود ، ويعلم الأمور قبل كونها ـ امّا الهاماً أو بصيرة ـ وهو يُتلف المال بالعطاء ، فليس

بينه وبين المـــال ذمام ، وسحائب معروفه تهمى بلا وعــد ولا وعيــد ، وهكذا يمضى فى مدحته للمعز التى مطلعها :

يُعَدُّ وجيعَ الوجــد ما هيَّج البعــد
وأوجـــعُ منه قـــربُ مَن قربُه الصد

وفى مدائــح شــاعرنا تميم نراه يجمــع بين التهنئة والمديح فى المقام الذى يستوجب التهانى. فاذا هنَّــأ ممدوحه بمناســبة من المناسبات فانه يحشد لها من المدح ما يستحقه الممدوح . كمــا كان يفعل حين يهنىء أخاه العزيز بعيد الفطر ، أو يهنئه بشهر الصيام ، أو يهنئه بالشــفاء من علة ، أو يهنئه بمولود .

وأغلب مدائح تميم فى أبيــه المعــز وأخيــه العزيز تستهل دائماً بالغزل تارة ، والخمر تارة ، وأحياناً يجمع بين الغزل والخمر فى مفتتح قصيدة المدح ، وينسى ــ وهو فى نشوة الشراب ــ أنَّه يمدح خليفــة فاطمياً له صفته الدينيَّة ، وأنَّ هــذا الممدوح هو أبوه أو أخوه . ولقــد أسرف

شاعرنا فى هذه الخمريات والغزليات الاستهلالية ، وأطال فيها ، وأغرق فى مجونيَّاته فيها الى حدٍّ يجعلنا نتساءل : أين هيبة الخلافة ؟ وأين جلال الملك ؟ ولكن يبدو أن المجون كان غالباً عليه حتى فى المقامات التى يتوقَّع فيها الوقار . والا فكيف نفسِّر قوله مُتَغزِّلا وقاصفاً وشارباً فى مدحه له للعزيز يقول فيها :

يا من تشفى بعذابى به
انى لأستعذب منك العذاب

لو فتشوا جسمى ما أبصروا
غير الأسى يسرح بين الثياب

لا زال سقمى وعذابى على
سقم المآقى ، والثنايا العذاب

لا خير في الحب اذا لم يكن
فى أنفسُ العشاق ماضى الحراب

فى خد من تيمنى من دمى
رشح ، وفى كفَّيه منه خضاب

كأنما الأصباح من وجهه
لاح ، ومن خديه ذاب الشراب

لما تشكيت اليه الهوى
بألسن الدمع رثى واستجاب

وزارني تحت رواق الدجى
والليل في صبغ جناح الغراب

فبات يُعطيني مِن وَصله
أضعاف ما أعطى من الاجتناب

اذا سقاني الراح من كفه
مزجتها لثمأ براح الرضاب

كأنها في الكأس ما جال في
خديه من رقة ماء الشباب

حتى تولى الليل في جيشه
وحلّ ضوء الصبح عقد النقاب

كأنما الليل بأصباحه
كان عذاراً حالكاً ثم شاب

أو كان مثل الجور في لونه
فحله عَدلُ (نزار) فغاب

قل لأبي المنصور يا خير من
أقام أو حثّ لمجد ركاب

ويا اماماً قابلت ملكَهُ
لوائحُ الاقبال من كل باب

خوّلك القدرةَ والنصرَ من
حَباكَ بالحُكمِ وفصل الخطاب

وهكذا خلص شاعرنا الى مدح أخيه العزيز نزار أبى المنصور ، بعد أن سلك اليه مسالك مع المحبوب ، وبعد أن احتسى ما احتسى من كفه ممزوجاً لثماً بخمر الرضاب !!

وهناك مدائح وتهان من شاعرنا الى ممدوحيه دخل بها على الغرض مباشرة دون غزل أو تشبيب ، وما اليهما ، كمدحته لوالده المعز حين عمل « شمسية » لبيت الله الحرام بمكة ، التى افتتحها بالمدح مباشرة قائلا :

اليك مَدَّت رقابَها العربُ
والمُلك ماء عليك منسكبُ

وأنت من دوحة النبوة لا
تألف الا عداتَك الرِّيَبُ

ألست من يرهب الاله ، ولا
يَصدُّه عن حدوده سببُ ؟

وكأبياته الىٰ أخيه العزيز التى بعثها مع سنبلة :

خليفة الله ان الدهر مذ طَلعَت
فيه سعودُك بادى الحسنِ محبوبُ

وكقصيدته التى قالها فى مدحه ومطلعها :

ولمــا رأيت الله حضَّ على الشـــكر
وجازَى عليه بالجـــزيل من الأجرِ

وقال : اشـــكروا لى يا عبـــادى أَزِدكُمو
شـــكرت أميرَ المؤمنـــين على بِرِّى

وكقصيدته التى بعث بها اليه من القاهرة حين أقام أياماً بسردوس . ومطلعها :

لا اســـتوحشت لك أربـــع وقصـــور
وأقـــام ملـــكَكَ ما أقامَ ثبيرُ

وكمدحته للمعز لدين الله والده ، التى افتتحها بقوله :

يا من حَوى الفضـــلَ وحاز الفخـــرا
وكســـف الشـــمسَ وفاقَ البدرا

العتاب

يشتمل ديوان تميم على بعض أبيات العتاب ، ولكن العتاب ليس ظاهرة فاشية فى شعره . ولعل مرد ذلك الى سماحة طبعه التى جعلته لا يحاسب

الأصدقاء على هفـواتهم وجعلتـه يتغـاضى عن عتابهم . أو لعلنا نضيف الى ذلك سبباً آخـر ، وهو أنه كان مقلا جداً من الأصحاب ، فهو منطو على نفسه وعلى مُتَعـه في قصره وبساتينـه ، لا يخالط الناس ، ولا يتلقى منهم ما قد يوحى بعتـابه على تصرفاتهم . وأغلب معاتباته وقعت بينه وبين صفيه «الحسين بن ابراهيم الرسِّي» . وهو عتاب على غير ذنب شديد أو جريرة صارخة . وانما هو عتاب على صديقه الحسـين لأنه أخَّر عنه رسـائله ، وقصر في ارسـال الرقاع اليه ، وهي مما كان يتعـزى به شـاعرنا . على أنه في عتابه رقيق مهـذب ، لا يُغلظ في القـول ، ولا يعنِّف في اللوم ، فيقول لصاحبه :

أسـهواً يا ابـن ابراهـيمَ عنِّي
فأسـهو أم أعاتِبُ أم أراعُ
ومثـلك لا يَبيـع أخاً ببخس
عـلى حـال ، ومثـلى لا يباعُ

وهذه القصيدة العتابية تجرى كلها هادئة على نَفَس هادىء ، وطبـع غير محتد ولا مستوفز ،

وغفران للمقصر ، وعدم جنوح الى الانتقام ، ومقابلة النسيان من صاحبه بالنسيان . وما أرقَّه وهو يقول لصاحبه :

سأذكر ان نسيتَ قديمَ عهدى
وأُسهِلُ ان أَلَمَّ بك امتناعُ

وهنا تأس بآداب القرآن ، ودَفع للسيئة بالتى هى أحسن .

الفخر

تغلب نزعة الفخر عند شاعرنا تميم ، وهو هذا ليس جارياً على غير ما يستحق ، ولا مغتصباً ما ليس له . فمكانته من البيت الفاطمي تسمح له بأن يَفخر ويطيل الفخر الى أبعد الآماد .

وقد يأتى الفخر فى شعره مباشرة ، فهو يهيىءُ القصيدة كلها للافتخار ، وكأن ذلك هو مدعاته الأولى ، ولم يقم فى ذهنه غيره . وتستطيع أن تميز قصيدة الفخر فى ديوان تميم بالتقديم لها بمثل هذه العبارة : وقال يفتخر .

وأحياناً يأتي الفخر في خلال قصائده الأخرى، وفي عُرض مدائحه . ففي قصيدة طويلة له في مدح العزيز بالله يُعرج على الفخر بنفسه قائلا :

ولكنني للمجد أرتاح والعلا
وللجودِ والاعطاء أصبو وأطرَبُ
وللحلم يومَ البطش مني حميَّة
وللحفظِ يومَ الغدر فيَّ تغضُّبُ
وَمَن بينَ جَنبيه كنفسي وهمتي
يَروُح له فوق الكواكب موكِبُ
ومن أين لا أغدو ولي كلُّ مَفخر
يضيق افتخارُ الناس وعنه ويعجبُ
ولِي من (نزار) لُحمَة شد نسجَها
(معدٌّ) ويحويني واياه منصبُ
وقُربَى تراضَعنا جميعاً لبانها
وصنو اذا عُدَّ الاخاء ومنسبُ

واذا كان شاعرنا تميم على حق في افتخاره بآبائه وشرف نسبه الفاطمي ، وسيوف أجداده التي فتحوا بها البلاد ، واذا كان على حق في فخره بخُلُقه وكريم صفاته ، فانِنَّا نراه قد جاوز الحد في افتخاره بمضارب سيفه ، مع أن ما وصل الينا من أخباره لا يدلُّ على أنه نزل ميداناً ، أو

أمسك سناناً ، الا اذا كانت مغامراته الأولى فى المغرب ـ قبل مجيئه الى مصر ـ وميوله مع الساخطين على أبيه المعز سبباً فى استعداده للافتخار ...

واذا جاز لنا أن نسمع من تميم بن المعز افتخاره بصبره على الأهوال ، وبأنه لا يفرح اذا الدهر سرّه ، ولا يعتب اذا أساء اليه ، وبأنه جواد معطاء بذّال للأموال ، وبأنه حليم فى حميّة ، وهازل فى وقار ، فما بالُنا نسمع منه فى فخره أنه أخو السيف ، ورفيقُ النصل ، وشقيقُ الرمح ، وفارس الغمرات ؟ وما بالُنا نسمع منه يقول مفتخراً :

ألقَى الكميّ ولا أَهاب لقاءه
ويغلُّ أقدامى شَبا الحدَثَان
وأكرُّ فى صدر الخميس معانقاً
للموت حين يفرُّ كلُّ جبان
ويَزيدنى ذُلُّ الخطوبِ تعظّماً
وَتسلّط الأيامِ عِزَّ مكان

وما بالُنا نسمع منه وهو يقول في وصف فلاة :

قطعتــــــهُ يقظـــانَ لم أستنجدِ
الا بمَـــتنِ الصَّــــارم المهنَّدِ

وما بالــه يقول فى احدى غزلياته :

ولمــا هـــزززتُ السـيف ثم اشتملتُه
عـلى ذابـل أَضنى من الصبٍّ فى الصدٍّ
لحتنى وقالت : لِم تشـــبَّهتَ ظالمــاً
بلحظى ، وقـدِّى ؟ قَلْ: هذا وما يُجدى

وما بالــه يقول فى مدحة له لأخيه العزيز :

اذا قلتُ لم أَعــدُ فصلَ الخطـــاب
وان صُلتُ أيقظـــتُ عــين الرَّدى
ولــــم أرمِ ســهميَ الاَّ أصـــبتُ
ولـــم أدعُ بالدهــــر الا احتذى
ولا أشــرب المـــاءَ الا دمَّــــاً
اذا عَرضَت ليَ طُــــرقُ الأَذى

وما بالــه يقول فى أبيات له فى الفخر :

تركنـــا النعـــيمَ لأهـــل النعيم
وجئنـــا العَنـــاءَ لـكى نستريحا
ونطـــردُ بالعـــز ذُلَّ الخمـــول
ونشـــــربُ ماءَ المعـــالى صَبوحا
رؤوس الرِّماح ، وحَدُ السـيوف
يَقـــــودان للطالبـــين الفتوحا

وما بالـه يقول مفتخراً :

انما السيدُ المعــلَّى المفـــدَّى
مَن عـــلا للعـــلا صُدور الرماح
وَرَمى ليـــل كـــلّ خطب بهـــيم
بذكاء أَضـــوَا مِن المصـــباح
واقتنى العـــز بالظُبـــا والعوالى
واشترى الحمـــدَ بالنـــدى والسماح

والاّ فأين هــذه السيوف والنصــال ، وهذه الظبا والرماح التى خاض بها شاعرنا الأهوال ؟

نحن نعرف أن القرامطة دخلوا مصر بقصــد انتزاعها من يد الفاطميين سنة٣٦٣هـ ، ونعرف أن جماعة من أبنــاء الفاطميين كانوا على رأس المدافعين عن مصر ، وكان قائد الجيش الفاطمي لطــرد هؤلاء المغيرين هو الأمير عبد الله ــ كمــا يقول المؤرخ ابن ميسر . ونعلم أن الخليفة المعز والد شاعرنا قد استمال أحد رؤســاء القرامطة وأحلافهم من البدو بالمال الذى كان زائفاً ... فردهم على أعقابهم . ولكنا لم نسمع أو نقرأ أن شاعرنا تميماً اشترك في معركة ، أو تقلد السيف

فى موقعـــة ، الا ما كان من مشـــاركته للفتن التى أقامها الساخطون على أبيه « المعز » في المغرب . وقد كان واجبه حين قدم الى مصر أن يشترك فى رد المغـــيرين عنها ، ولـــكنه كما يقـــال : (ظلّ بمعزل عن كل عمل عام ، بل أهمل اهمالا شديداً جعله يسلو عن ذلك باللهو والمجون ..)(١) .

ألا يجوز لنا أن نقول بعد هذا الموقف السلبي من تميم فى المعارك أنه أضاع كثيراً من المشاركات فى الفتوح التى كسبها أخـــوه العزيز . ففى أيام العـــزيز فتحت لمصر حمص ، وحلب ، وحماة ، وخُطِب للعـــزيز فى الموصـــل واليمن . وفى أيام العزيز قامت حروب بين العرب والروم شـــارك فيهـــا الجيش المصري مشـــاركة فعّالة ، ولكنا لم نسمع لشاعرنا حساً ولا خبراً فى هذه الحروب ، بل سمعنا غزليـــاته ومجونه يرسلها من خـــلال معتكفه فى قصره وبستانه ...

(١) ديوان تميم بن المعز ـ صفحة م من المقدمة .

الحق أن خيال شاعرنا تميم بن المعز فى الافتخار بالسيف والرمح وخوض غمرات الوغي كان أكبر جداً من الحقيقة ، والاَّ فتاريخه المعروف وتاريخ أخيه العزيز وحروبه ليس فيهما ذكر لمشاركة له فى المعارك . وكيف يتهيأ العاكف على لهوه ومجالس قصفه لحرب ، أو يتعرض لتقلد رمح ، وهو مشغول عن ذلك كله بالمتع التى قد يكون هيأها له أخوه لشغله عن الاشتراك في الحياة العامة ، ضماناً للأمن من من ناحيته ...؟

الرثاء

فى شاعرنا تميم بن المعز وفاء يلوح لنا من خلال تصرفاته مع الناس ومع الأصدقاء . واذا كان الرثاء فى حد ذاته مظهراً من مظاهر الوفاء للأموات ، فان شاعرنا تميماً يملك من هذا الوفاء قدراً كبيراً . لقد مات أبوه المعز لدين الله فرثاه . ومات أخوه عبد الله ثانى أبناء المعز فرثاه على الرغم من أنه كان محجوباً عن ولاية

العهد ، فلم يقعد به اليأس من الولاية والأسى عليها عن أن يؤدى واجب الوفاء لأخيه المتوفى .
ثم مات أخوه (عقيل) فقام نحوه بواجب رثائه. ولقد كانت مرثيته لعقيل كمرثيته لعبد الله من بحر واحد هو الخفيف ، ومن قافية واحدة هى الراء . ونلحظ في المرثيتين أثر المصاب في نفس شاعرنا ، فهو حزين موحش مطار اللب ، وهو مكدر العيش فى المصيبتين اللتين ذكرتاه بمآسى أجداده وآبائه الفاطميين . واذا كان أخوه عبد الله قد مات فى حياة أبيهم (المعز) ، فان عقيلا مات بعد وفاة والدهم ، وكانوا ثلاثة أحدهم الخليفة العزيز . ولا يستطيب شاعرنا البقاء بعد وفاة أبيه وأخيه عقيل فيقول جزعاً :

كيف يبقى امرؤ تولى ابوه
وأخوه ، فحبله مبتور ؟

وتثير أحداث الموت فى نفس شاعرنا ذكريات الشهداء والموتى من أهل البيت ، كما تثيره المآسى الدامية التى تعرضوا لها ، والفواجع

الأليمة التى نزلت بهم . ففى مرثيته لأخيه عقيل يعرج على الماضين من آل البيت ويتساءل قائلا

أيـــــن آبائيَ الذين تفـــــانَوا
وبهـــم كانت الليـــالى تنـــيرُ ؟
أين جَـــدى حســـين بن عـــلي
أيـــن زيـــدُ المفجَّع الموتـــورُ ؟

ولا تقع لتميم فى ديوانه الضخم ، وبين مراثيه الكثيرة المطولة ، الا على مقطَّعة قصيرة فى رثاء والده المعز تبلغ عدة أبياتها خمسة . ولا ندرى ان كانت طويلة ولم يقع لناسخ الديوان الا هذه الأبيـــات الخمســـة ، أم أن الشاعر اكتفى بها فى مقام لا يجدى فيه طول النوح ولا كثرة البكاء . ولا ندرى ان كان شاعرنا فى نفسه آثار مما فعله به أبـــوه من صرفه عن ولاية العهـــد الى أخيـــه الآخر . ولكنه على كل حال كان متعلقاً به ، ولم يقصر عن أن يقول فيه شعراً مؤثراً حـــين اعتل علته الأولى وعلته الثانية بمصر التى يقول له فيها :

لا نالك السَّـــقَمُ المحـــذور إن وردا
وعشت فينـــا عـــزيزاً ســـالماً أبدا

اللهُ يعلم أني مذ سمعتُ بما
دهاكَ عاود قلبى الشجوَ والكمدا

ولا يقال ان الشاعر هنا كان مجاملا أو كان يلجأ الى (الرسميات) فى لحظات اعتلال والده . فلم يكن له مصلحة فى مجاملة . وقد كان يمكنه أن يلوذ بالصمت المطبق فى هذا المجال ، وليس عليه من نقد أو ملام .

واذا كانت مراثى اخوته ووالده تثير فى نفسه أشجان الفاطميين والطالبيين ، فانه فى أكثر من قصيدة استقل برثاء أهل البيت من غير أن يكون هناك مقتضى من اثارة بموت قريب أو حميم . وله دالية قائمة بذاتها فى رثاء أهل البيت يقول فى مطلعها :

نآت بعد ما بان العزاء سعاد
فَحشوُ جفون المقلتين سُهاد
فليت فؤادى للظعائن مربع
وليتَ دموعى للخليط مزاد
نأوا بعد ما ألقت مكايدها النَّوى
وقرَّت بهم دار ، وصح وداد

وقد بلغ من خلة الوفاء عند شاعرنا أنه كان يرثي من اتصل به اتصالا قريباً ، فنراه مرة يرثي قينة له ، ومرة أخرى يرثي جارية له توفيت قبل وفاته بشهور ، فيقول :

كانت رضا النفس ونيلَ المنى
ولذةَ العيش وطيب المدام
رَيحانَ سمعي ، وسنا مقلتي
وسؤلَ قلبي من جميع الأنام
لهفي على ما فاتَ مِن قُربها
لهفاً له في كل عضو سقام
لهفي على تلك الطباع التي
قد خلُصَت من كل عيب وذام
لهفي ! وقلَّ اللهفُ مني لمن
كانت سلوِّي عند كل اهتمام
لم أدرِ في حبِّي لها ما الأسى
ولا تطعَّمتُ أليم الغرام

ويجوز لنا هنا أن نقرن العزاء بالرثاء فهما من باب واحد ، وهما في الحادث الواحد : حادث الموت الذي لا يُرد ، الا أن الرثاء مدح للميت واشادة بمحاسنه ، والعزاء تعزية لأهل الميت وسلوان لهم . ونجد في شعر تميم بن المعز بعض

قصائد التعزية ، وان كان ذلك قليلا جداً فى ديوانه . ولعل أبرز تعازيه وأحقّها بالاشارة اليها هى تعزيته لصديقه الحسين الرسّي فى وفاة والده أبى ابراهيم اسماعيل بن أحمد الرسّي ، وكان شاعرنا قد تأخر ـ لوجع أصابه ـ عن المشاركة فى الصلاة على الفقيد ، فلما عاتبه الحسينُ الرسّي على ذلك الموقف رد عليه شاعرنا يقول :

يا من صفا ودُّه صدرى — له وسرّى وجهرى
ومن تكدَّر عندى — لرزئه صفوُ دهرى
ما مات ركنك ، لا ، بل — ركني ، وفخرِى ، وذُخرى
لو كنتُ أملكُ عُمرى — وهبتُهُ شَطرَ عمرى
او كنتُ أستطيعُ دفعاً — عنه بروحىَ وَوفرى
دافعتُ عنه المنايا — وكلُّ فادح أمرِ
وقلَّ فى واجب الحفـ — ـظ عنه دفعى ونصرى
ما كان الاَّ يمينى — ومقلتىَّ ، وأزرى

الغـزل

يشكل الغزل ـ سواء أكان مستقلا قائماً بذاته أم مفتتحاً للقصائد توصلا الى أغراض أخرى من القول ـ قسماً لا بأس به من ديوان تميم بن

المعز . وقد يقال ان قسماً كبيراً من هذا الغزل مصنوع غير مطبوع ، وانه أتى به على سبيل المحاكاة للقدماء . ولكن لا شك أن شاعرنا كان ذا طبع غزل ، ونفس محبة ، وكان يعشق المرأة، ويهيم بها ، ويعجب بمحاسنها ومفاتن جسدها ، وأنه لم يجد الا الشعر تعبيراً له عن تلك العاطفة.

والمرأة المصونة البخيلة بعواطفها وبنفسها هى أحسن بكثير عند شاعرنا من المرأة الباذلة المعطاء ... لأن المرأة الضنينة لا تسرف فى بذل نفسها على حين أن المرأة المعطية غير المتمنعة هى شىء سهل المنال . وقد عبر شاعرنا عن هذه الفكرة بقوله فى التغزل فى مستهل قصيدة فاخر بها العباسيين :

يُعجبنى البُخلُ ان بَخِلت ولا
يعجبنى الجُودُ منكِ والنَّفل

فشرُّ ما فى الرجال بُخلُهمو
وخيرُ ما فى الكواعب البَخَل

وقد تغزل شاعرنا بالمرأة فى كل مكان ... فى

البدو والحضر ، وفى الكوخ والقصر ، بل تغزل بها فى الدير ما دامت تقدم له من اللذة كل ما يحب ... وهو في لقاءاته مع المرأة لا يتورع أن يصف كل ما دار بينه وبينها .. ففى غزلية له على شكل أرجوزة مقيدة يقول :

حتى أبيتُ بين غيد نُهَّد
أرشف شَهداً كامناً فى بُرُدِ

ملتزماً هيف الخصورِ المُيَّد
ما أنت يا ليلى سوى غُصن ندى

تميس فى غصن نَقَى مُلبَّد
وقمر فوق قضيب أملد ..

تفتُر عن كاللؤلؤ المنضَّد
صِيغ لها من عَسَل مجمَّدِ

فهو متى همَّ بذوب يبرد
والثلج لولا بردُه لم يَجمُدِ

وفاتر الطرف عليل الموعدِ
أضعف من لحظيِ بين العُوَّدِ

يقتلُ من يَشا ولكن لا يَدى
يجور فى حكم الهوى ويعتدى

ثم تهدى اليه الحبيبة تفاحة ، فكأنما أرسلت اليه خدّها بلونه وريق فمه :

لما تشكيتُ اليه الهَوى
والشوقُ نامٍ والجَوى زائد
أرسل فى تفاحة خَدّهُ
اليّ كى لا يفطنَ الحاسد
فلونُه في لونها ظاهر
وريقُه في طعمها جامد ...

واذا كانت كل امرأة تستهوى شاعرنا تميم ابن المعز ، فان المرأة ذات البشرة الصفراء العاجية كانت تستولى أكثر على لبه . وكل الألوان المألوفة في جسم المرأة حبيبة اليه ، الا (الصفرة) فانها تولّهه :

رأيت فى البستان انسانة
صفراءَ ، للألباب سلاّبه

والفتاة الصفراء التى تعلله في ظلام الليل هي أشهى الى قلبه :

رُبَّ صفراءَ عللتنى بصفرا
ءَ وجنحُ الظلام جَونُ الإزار

والصفراء من النساء يحسبها محدثها ذهباً أصفر يكاد يجرى بضاضة :

وضـــعيفة الألحـــاظ ســـاحرة
زادت لواحظهـــا عـــلى السحرِ
صـــفراء يحسِبهـــا محدّثهـــا
ذهَبـــاً يكـــاد بضاضـــة يجرى

ولعل أجمل ما فى غزل « تميم » الذى يتقدم به الى أغراضه فى المدح والفخر وغيرها هو ذلك التخلص الحسن الجميـل من الغزل والتشبيب الى غرضه ، بحيث يحس القارىء أن حبل الـكلام موصول منسجم ، وأنه ليس هناك فجوة فارغة ، أو هوة سحيقة بين المطلع والمخلص ...

وهل هناك أجمل من هذا التخلص من الغزل الى مدح والده المعز :

خـــذى الـــكأس يا مظلومة الخدّ مترعاً
ومـــدّى به نحـــوى بناناً مخضَّبا
فانى سبقتُ الدهر للمجـــد والعـــلا
وســدتُ جميعَ النـــاس شرقاً ومغربا
ومـــا ذاك الا أننى بســـعادتى
غـــدوت قريبـــاً من (معد) مقرَّبا

و « معد » هو والده المعز . ويدخل شاعرنا الى مدح أبيه هذا المدخل الجميل .

وهل هناق أرقّ من هذا التخلص من الغـزل الى مدح أخيه العزيز :

فللشـــوق في الأكبـــاد منهن رنـــة
وللـــدمع فى رمض الخـــدود سكوب
سيشفين داء البعـــد بالقرب عاجـــلا
ويَعلمـــــن أنّا بالنجـــاح نؤوب
وأن ظنـون النـــاس افـك وباطـــل
وظنْ أمـــير المؤمنـــين مصيب

أو أجمل من هذا التخلص من الغزل الى مدح أخيه العزيز :

فبتْ أناجى البـــدر وهو منـــادمى
وأشرب باللثـــم العقـــار من الشَّنَب
الى أن رأيت الصـــبح يفتـــك بالدجى
كفتك (أبى المنصور) بالروم والعَرَب

أو هــذا التخلص الحسن من الغــزل الى مدح العزيز :

لا ندّ في الحســـن لهـــا مثلَمـــا
أنيَ فى الحــــب بـــــلا نــــدٍ

لا زالت الجـــــــيزة معمـــــــــورة
بكــــل مخطـــوف الحَشـــا نهد !
إنى ألـــذ العيش فيهـــا بمـــا
أولى عـــزيزُ الـــدين من رِفد

ولقد أجاز شاعرنا لنفسه ـ مع الأسف ـ أن يطلق لنفسه العنان فى الاِفحاش فى الغزل ، عن طريق التصريـح بذكـر العـورات والألفـاظ الجنسـية المثيرة ، والأعضـاء التى نسـتحى أن نسوق عليها الشواهد في هذا المقام ، ويكفى أن نشير الى صفحات ٢٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٤٢١ ليرجع اليهـا طالب المزيد من البحث ، وليرى فيها لوناً من الأدب المـكشوف ما كنا نتوقعـه من أمير من أبناء البيت الفاطمي . . .

الوصف

كان للشاعر تميم بن المعز باصرة لا تقع على شىء الا أدركته ونَفَذت اليـه واستمتعت به ، وحسٌ مرهف يستجيب للعـين حـين تقـع على الأشياء . وكان يصف وصفاً أصيلا أو عارضاً .

فقد يتصدى من أول الأمر لوصف منظر طبيعي ، أو مشهد صناعي ، أو آلة ، أو انسان ، أو حيوان . وقد يأتي الوصف فى شعره عَرَضاً لا أصالة . فمن أوصافه العارضة ما ذكره فى أثناء مدحه لأخيه العزيز واستئذانه اياه فى المسير اليه بالجيزة فى أحد قصوره هناك . وفى خلال الحديث الى أخيه أخذ يصف الروضة ونسيمها وجداولها وأزهارها وثمارها ، قائلا:

فى جنة قد ذُللت ثمراتها
وتسربلت بغلائل من نور
وجَرى النسيم على ثمار غصونها
فتضوعَت بالمسك والكافور
ينسابُ فى الأكناف منها جدول
كالنصل أو كالحية المذعور
ما بين أترج يلوحُ ... كأنه
كُبرَى الثُدىِّ الصُفرِ فوق صدور
وكأن نرجسه اذا استقبلته
يرنو بأجفان العيون الحور
وكانما النارنج فى أغصانه
أُكر تروّت من دم اليعفور

وكأنمـــــا نشر الربيــــع ملاحفـــا
فيهـــا مُريَّشـــة مـــن المنثور
وكأنَّ ســــوسنَها خـــدود قد بَدت
للتَّثـمِ فيهـــا زرقـــة التأثير ..

وقد أكثر تميم من وصف الرياض والأزهار والثمار ، ويشترك معه فى هذا شاعران مصريان آخــران قريبـــان من عهــده همـــا : ابن وكيع التِّنيِّسى ، والشريف العقيلى . وكثيراً ما نجــد الورد والشقائق والنرجس والنيلوفر والسوسن والأترج والموز والخوخ والتفاح متناثراً مبعثراً فى ديوان الشاعر تميم ، فنحس أننا نجوس خلال روضة أو بستان مزهر . وما مر شاعرنا بروض الا وقف أمامه أو وقف به ، ووصفه ، وحل فيه:

انظـــر لتفــويف الرياض وحُسنهـــا
قـــد نمَّقته يــد السحاب الممطر
بُسُط تخـــالَفَ صـــبغها ونسيجها
ما بينَ أصـــفَر كالعقيـــق وأخضر
يجمعنَ حُســـن المنظـــر الزاهى الذى
راقَ العيـــونَ الى كـــريم المَخبر
فكأنَّ نرجســـها عيـــون أُبرِزَت
أجفانُهـــا لـــكنها لـــم تَنظُر

وشـــقائق كَسَت الرُّبى من نسجهـــا
حُللا كتضـــريج الخُـــــدود الأحمر
متـــــبرجات ناعمـــات أكمـــلت
خَفَـــر الذليـــــل ونخـــوَة المتكبر
وغـــــلائل زرق نُشرنَ كأنهـــا
آثارُ تجميش الصـــــدور النضَّر ..!

ولا مر شاعرنا بناعورة تسقى الرياض والحقول الا وقف بها ووصفها :

ناعـــورة أنَّت أنـــينَ الهـــوى
لمـــا شـــكَت حَـــرًّ وساويسها
أنينُهـــا صَـــرَّةُ تدويـــرها
ودمعُهـــا مـــاءُ قواديسها
كأنمـــا الـــكيزانُ فى بئـــرها
هـــامُ ملـــوك فى نواويسها
تقـــذفُ بالمـــاء الى روضـــة
كأنهـــــا ريشُ طواويسها

وقد وصف شاعرنا الليل والصبح فى طلوعه وطردِه لجيوش الليل :

وانظـــر الى الليـــل كالزنجىٌ منهزماً
والصـــبحُ فى اثره يعـــدو بأشهبه

ووصف (القـرافة) ، وقد لفَّها الخشـوع والصمت ، ونبه الأذانُ فيهـا النيام ، ووصف (بركة الحبش) المشهورة التى وصفها شعراء من أمثـال « أبى الصـلت أميـة بن عبد العـزيز الأندلسى » و « ظافر الحداد » الاسكندري المصري وغيرهما ، فقال :

كأن البـــركة الغنَّـــا اذا مـــا
غَـــدَت بالمـــاء مُفعمـــة تموج
وقـــد لاح الضحى ، مرآةُ قَـــين
قـــد انصقلت ومقبضُهـــا « الخليج »

وأجاد شاعرنا فى الوصف للأشياء الطبيعيـة كصفته (للفَـرس) وفى باب النماذج شيء منه ، كمـا أجاد صـفة المرأة . أما صـفته للأشـياء المصنوعة فقد أدارها على ما وقعت عليه عيناه من وصف عود الغناء الذى كان ملازماً له واقعاً تحت سمعه وبصره ، ووصف الشمعة التى كانت توقد دائماً على مائدة الشراب ، وتظل صاحيـة بينما ينعس النـاس ، ويجلس العبيد وهى قائمة واقفة لا تجلس ...

وفاتقـــة ظلمَـــــة الحنـــدِس
اذا نعسَ النـــاسُ لـــم تَنعَسِ
متـــوجة فـــوق يافوخهـــا
بتـــاج مـــن اللهـــب المشمِسِ
اذا أوقـــدت نشـــرت أدمعـــا
عليـــه مـــن الـــذهب الأملسِ
وان نـــام خلاّســـها لم تنـــم
وان جـلس العبـــدُ لـــم تجلسِ
ولـــم أر أكـــرَم مِن طبعِهـــا
تجـــود عـــلى الشَّرب بالأنفُس ..

الشكوى

ويخيل الينا أن شاعراً أميراً مترفاً كتميم بن المعز لا تجد الشكوى سبيلا الى شعره ، ولا مدخلا الى ديوانه . ولـكن من هو الشخص الذى خـلا من هموم الحيـاة ، وخلص من آلامهـا ؟ أليست الحـالة النفسية لتميم ، بحرمانه من الخـلافة ، وصرفه عن ولاية العهد ، سبباً كميناً لشكواه ، ولو أنه رضي فى نهاية المطاف بحظه من الحرمان وتظاهر بالقناعة والقبول ؟ وهب أنه سكن الى

حكم الله بحرمانه من الولاية والخلافة ، أفهل سلم من قريب يحسده ، أو كاشح يحقد عليه ، أو عدو يتربص به . والمرء محسود حتى على موته كما قال شاعر قديم . لهذا لا نعجب اذا سمعنا « تميماً » يقول :

رضيتُ بحكم سابقة القضاء
وأن أضحت تكدّرُ صفوَ مائى

وهل يسطيع أهلُ الأرض حلا
لعَقد شدّ من فوق السماء ؟

الى كم تهدُم الأحداث ركنى
وترمينى بجَورٍ واعتداءِ ؟

يعاقبنى الزمان بغير ذنب
وتخذُلنى يدى وذوو اصطفائى

حياتى بين واش أو حسود
وساعٍ بى يُسَرّ بطول دائى

واذا لم يجد شاعرنا شيئاً يشكو منه ، فلا أقل من أن يشكو فراق أحبابه ، وبُعد أحبّته عنه ، وهى شكاة تصاحب ما قاله فى الدهر من شكويات :

أمرّت ليَ الأيام منذُ عرفتُها
فما فى فمى منهنَّ الا العلاقمُ
جعلتك قلبى خيرَ خِدن وصاحب
فلا تك ممن يلتوى ويُصارمُ
فما ان رأيت الدّهر الا معظّماً
كريماً يناوى أو وضيعاً يسالمُ
وما فاتنى فيه من المجد والغنى
فما أنا اذ نلتُ الحِجى فيه نادمُ
وما أن فَلَيتُ الدّهر الا لأنه
لقلبىَ من بين الأحبة ظالمُ
سقانيَ من أقذائه بفراقهم
ومن سُمّه ما ليس تسقى الأراقمُ

وحين يضطر شاعرنا الى الشكوى اضطراراً ، فانه ـ شأن الكريم ـ يتجمل بالصبر ، ويظهر الابتسام تجملا وتصبراً ، وان كان به ما يُبكى أقلّه العيون :

صَبَرتُ عن الشكوى حياءً وعفة
وهل يشتكى لدغَ الأراقم أرقَمُ ؟
وبى كلُّ ما يُبكى العيونَ أقلّه
وان كنتُ منه دائماً أتبسَّمُ

وتلفت نظَرنا فى شكوى « تميم » ظاهرة

التشكي في شعره ومدائحه التى يخاطب بها أخاه الخليفة العزيز بالله . وهى شكوى تحمل دلالة نفسية على تألمه باطناً من الوضع الذى حرَمَه الخلافَة وأعطاها لأخيه العزيز . وقد يكون شاعرنا غير لبق ولا موفق فى اتخاذ هذا الموقف ، ولكنه معذور حين يجد نفسه مضطراً اليه ، فيقول :

أعلّلُ نفسى بالأمانى تجلداً
وأُوهِمِهَا أنّ النزاهة فى العُدمِ
صبَرتُ على الأحداث حتى أذبنَنى
وحتى انتهَت سكّينهن الى العظمِ
ولم يَلقَ مخلوق من الدهر مثلما
لقيتُ من الأرزاء والجَور فى الحُكمِ
فما عنتَفت غيرى الخطوبُ بجورها
ولا ظَلَمت أحداثُها أحداً ظُلمى
أَرَونى مريض القلب مثلى والمُنى
عليل الغنى والحال والحظّ والجسمِ !!

لا شك أن مصدر الشكوى فى شعر تميم بن المعز هو الحالة النفسية التى أصابته بحرمانه من الولاية والخلافة والنفوذ والسلطان والأمر

والنهي ، فهو رجل مهدَّم الآمال محطَّم المنى .
يعيش على هامش الحياة بعد أن كان مرشحا
للعيش على قمتها وفى الصميم ، وهو فى الوقت
نفسه رجل عليل ، هدف فى كل لحظة للعلل
والأمراض التى تعوقه حتى عن المشاركات التى
يفرضها عليه مكانه كأخ للخليفة القائم على
عرش البلاد ...

باقة من شعر تميم بن المعز

١ - المدح

قال من قصيدة طويلة يمدح أخاه العزيز بالله نزاراً :

ولى من « نزار » لُحمة شد نسجها
معد ، ويحوينى واياه منصبُ
وقربى تراضعنا جميعاً لبانها
وصنو اذا عُد الاخاء ومنسبُ
فلا يتهمنى الحاسدون ببغيهم
فعزّى من عزّ (العزيز) مُركّبُ
إمام له من كل نفس مُراقب
وفى كل أرض عقدُ عز ومقنبُ
محبته حتم على كل مسلم
وطاعته فرض من الله مُوجبُ
كأن العطايا والمنايا نوافل
يجود بها فى حين يرضى ويغضبُ
رفيعُ المعانى فى العيون معظّم
كريمُ السجايا فى النفوس محبّبُ
ألذ من الشهد المصفّى مذاقُهُ
وأطيبُ من نيل الأمانى واعذبُ

وأمضى من المقدار عزماً وبطشة
وأوسع للأيام صدراً ، وأرحب
مآثره فى حلبة الفضل سبَّق
وتدبيره فى ظلمة الليل كوكبُ
وآراؤه يوم اللقاء نوافذ
مواض اذا كلَّ الحديد المضرَّبُ
هنيئاً لك الأعياد يا عيدَها الذى
به يُمنح العز المنيعُ ويُوهَبُ
وملءُ فضاء الأرض حولَك صاهل
وأسمرُ خطِّى ، وعَضب مشطَّبُ
فسرتَ بهم مستعصماً بسكينة
كأنك من لُبس التُقى مترقِّبُ
وقمتَ بهم فى منبر المُلك خاطباً
بما لم يقم مَلك سواك ويخطُبُ
وأفصحتَ حتى ليس الاّك مُفصح
وأسهبتَ حتى ليس الاّكَ مُسهبُ
تبشر طوراً بالاله ، وتارة
تُخوِّفُ من عصيانه وترهِّبُ
بياناً ووعظاً قد تناهيت فيهما
كأنَّك لم يسبقك « قُس » و « يعربُ »
وأثبتَّ فى الأسماع بُرهانَ حكمة
يقصِّر عنها من يَقولُ ويُطنِبُ
لأنك فى بَحر البلاغة مُغرَق
وفى ساحَتَي أرض النبوة مُنجبُ

ليهنكَ أنَّ الفضل أجمعَ كلَّه
اليك أبا المنصور وَحدكَ يُنسَبُ
وانك أنت المصطفى المَلِك الذى
بطاعته من ربنا نتقرَّبُ
ولولاك كان المُلك فى غير أهله
وكانَ على أفق الشريعة غيهبُ
عليك صلاة الله ما طَلَع الضحى
وما حَنَّ للأوطان من يتغرَّبُ

وقال من قصيدة يمدحه أيضاً :

امام كأنَّ الله وصَّاه بالعلا
فليس له فى غير معلومها أَرَبُ
فيا ابن رسول الله ، وابنَ وصيِّه
وحسبُك ذا جَدا ، وحسبُك ذاك أَبُ
اذا عُجمت عيدانُ قَوم فأخلَفت
تَفجَّر من عيدانك الماء والضَّرَبُ
يَد مثلُ صَوب الغيث جُوداً ونائلا
ورأي كحدِّ الصارم العضب ذى الشَطَب
ونفس لَو أنَّ الدهر من بعض همها
لأفنته حتى لا تُعدُّ له حِقَب
ألستَ أبا المنصور أولَ ناصر
لمعروف كفَّيه على المال والنشب
وأشرفَ من أعطى ، وأكرمَ مَن عفَا
وأفضلَ من وفَّى ، وأجودَ مَن وهب ؟

تتيـــه بفعلَيك المـكارمُ والعـــلا
وتلبَس حَلياً من ملافِظـكَ الخُطب
ولولاك كانت عَقـوة المُلك مـــورداً
لـــكل من استعلى به البغىُ واغتصَب
ولـــكنك الذوَّاد عنهـــا بحـــزمه
ومانعُهـــا بالمشرفيَّـــة والقُضب
حميت ذمارَ الحـــق حتى عصمتـــه
وأطلقتَ مُزنَ الغيث حتى قد انسكَب
وشرَّدت أعداءَ الخـــلافة عَنـــوة
فـلم يقدروا الا على البُعد والهَرَب !
تركتهُم كالجـــنِّ فى كـــلِّ بلقع
يلـــوذون بالأجبـــال منك وبالكُثُب
فأنت حُســـام الله أرهفَ حدَّه
فصـــال به جِدُّ الأمور على اللَّعب
ليهنك نَوروز تبـــاشرتِ العـــلا
بسعدِك فيـــه واضمحلَّت بك النُوب
وعادت بك الأيام فيـــه أوانســـاً
وأصـــبح فيـــه مُبعدُ الخير مقترِب
وزادت مدود (النِّيـــل) حتى كأنَّمـــا
أتتـــك ارتغاباً تقـذف الموجَ أو رَهَب
كأنَّ بنات المـــاء فاضت عـــلى الثَّرى
بمسك ، ومجَّت فيـــه عنبرَها التُرَب
فقـــد غَصَّت الخُلجـــان حتى كأنَّهـــا
مدائنُ تدعـــو من جيوشـــك بالحَرَب

فدام لأهـــل المصر عمرك أنهـــم
غدَوا بـــك فى ظـل من العيش منتصب

وقال من قصـيدة يمـدح بهـا والده المعـز لدين الله ، ويهنىء بابلاله من علة :

تبلَّجَ هـــذا المُلك عنـك وأشـــرقَت
تـــرائب مـــن أفعـــاله وخُدود
ليهنـــك أن الله فـــوقَك مـــالك
ودونَك كـــلُّ المالـــكين عبيدُ
وأنتَك غـرس الله فينـــا ، وأننـــا
غُروســـك يَنمَى فضلُها ويَزيد
وجـــوه تجلَّت فى ســنَاكَ وأنفُس
ونَبت تَـــروَّى فى ثـــراك وعُود
وهـــل أنا الا من بِنَاكَ التى غَـــدَت
يُشيِّدها فضـــل لديك وجُود ؟
وكل بحمـــد الله قـــد رام هدمَه
فأعياهُمـــو ما تبتـــنى وتَشيد
وتأبى ، ويأبى الله أن يَنقُض الـــذى
تُريد ، وأن يعـــلو عليـــك مُريد
وقـــد شَرَّد الله الأعـــادىَ والضَّنى
وأعقبَ نـــارَ الحـــادثات خُمود
بعز يَسُدُّ الخـــافقَين ، ودولـــة
لهـــا فـــوق أعنـــانِ السماء صُعود

فرحتَ وحسن البرء مثلك زاهر
وشخص الضنّى كالمارقين طَريدُ
فأيُّ أيادي الله نبدَا بشكرها
لديك ، وأى المكرمات نُعيدُ ؟
لئن خصّنى منها الاله بحظوة
لقد عم منها العالمين سُعودُ
وللناس آمال ضُروب وأنفُس
تسوقُ الى أوطارهم وتقُودُ
وليس لنا الاّ عليك معوّل
وليس لنا الاّ اليك مَحيدُ
فلا زالت الدنيا ونُورك لِبسُها
ولِبسُك فيها صحة وخلودُ

وقال من قصيدة يمدح بها والده معدأ الملقب بالمعز لدين الله :

أنا ابن من قد أعزّ الدين منصلُه
وأذعنت لعُلاه العُرب والعجمُ
أعنى الامام (مَعدّاً) خيرَ من حسُنت
به الخلافةُ ، واستعلت به النَّسَمُ
فخراً ومجداً أميرَ المؤمنين ، فقد
صلّى عليك النَّدى والمجدُ والكرمُ
تُصمُّ أذنكَ عن لاحيك فى كرم
وما بسمعك عن داعى النَّدى صَمَمُ

فعِرضُ مجدك بالمعـــروف ممتنـــع
وعرضُ مالِـك فى العـــافين مقتَسمُ
من لم يكن بك دونَ النـــاس معتصماً
أمسى وليس لـــه فى الأرض مُعتَصَمُ
يا حُجـــة فلجَت لله ، واتضـــحت
حتى اهتـــدى بســـنا بُرهانها الأممُ
يا مُطلِقَ الأمل العـــانى ومُخرِجه
لليُسر من بعـــد ما أودى بـــه العدمُ
لولا (معـــد) أميرُ المؤمنين لمـــا
عزَّ الهُـدى ، وفشت فى عصرنا النِّعمُ
فى كل موطـــن معـــروف يمُدُّ يداً
وفى تُقَى كـــل توحيـــد لـــه قَدَمُ
أعزُّ ، أروعُ ، وضَّـــاح لِنـــاظِره
كـــأنَّه فى أعـــالى « هاشـــم » علَمُ
حُلـــو الشـــمائل فى أخـــلاقه شَرَس
طـــوراً ، ولـــين ، وفى عرنينه شَمَمُ
طابت ولادتُه مـــن (أحمـــد) وزكت
منـــه الخَـــلائق والأعراق والشِّيَمُ
يَلقىَ دواعى الخنا واللؤم منه « بـَلا »
وليس تخـــذُلُه فى صـــالح « نـَعَمُ »
أســـتغفر اللهَ لا أُحصى فَضـــائلَهُ
عـــدّاً ، ولو أن كلِّى منطِـــق وفَمُ
وكيف يُحصى الورى عـــدّاً مناقبَ مَن
لم يُلفَ شِبه لـــه فى النـــاس كلهمُ

وما رأيتُ سوى مدح (المعز) ثنـــاً
يُزهَى به الحـــبر والقرطاسُ والقلمُ
كأنمـــا مُلـــكه هَدي'' ؤموعظـــة
ودهـــرُه فـــرح للنـــاس مبتسِمُ

ب - التهاني

قال من قصيدة يهنيء بهـا أخاه العزيز بالله بالسلامة من « الفَصد » :

امامَ الهـــدى سَعد ، وفأل مُبـــارك
واقبـــالُ عِزٍّ ليس فيـــه مشاركُ
وفصد لماء الجُود فى النـــاس فاصـــد
وبُرء لك الأعـــداءُ فيـــه تُتَارِكُ
تَفَجَّرَ من 'يمنـــاكَ باليُمـــن للعُلا
دم لـــدم الأعـــداءِ ما عشتَ سَافكُ
دَم أعقبتـــه صِحة وســـلامة
وحَفَّت بـــه قبـــلَ الأنام الملائكُ
لنفسِ طبيب جسَّ عرقَك سُؤلهـــا
فقد جَسَّ ما لا يَنتهيـــهِ مُماسكُ
يَدا ملك ما زال مُذ كـــان فيهمـــا
لبـــذل العطـــايا والمنايا مسالِكُ
فوجهُ الهُـــدى ريانُ أبيضُ ناصـــع
كمـــا بك وجـــهُ الشرك أسودُ حالِكُ

وقال من قصيدة يهنئه فيها بالعيد :

قواضبُ الرأي أمضَى مِن شَبا القُضب
والحزمُ في الجدّ ليس الحزمُ في اللعبِ

والعزْ ليس براض عن علا ملك
ما لم تعنه سيوفُ الهند بالقُضبِ

وليسَ يَستطعِم الراحاتِ طيبة
من لا يخوض اليها شدةَ التعبِ

وتركُكَ الشيءَ مما تستريبُ به
عجز ، وداعية تُفضى الى العَطَبِ

اذا استربتَ بشيء فامح ظلمته
فذاك أنفَى لليل الشكّ والرّيَبِ

أعلى المراتب ما تَبنيه مجتهداً
وأفضلُ المجد ما تحويه بالنَّصَبِ

بت ساهراً عند رأس الأمر ترقُبُه
ولا تبت نائماً عنه لدى الذَّنَبِ

والهمْ بالخطب قبل الخطب مَنبهة
ومَن رَمى بسهام الحَزم لم يخبِ

يُرجَى دفاعُ الرزايا قبل موقِعها
وليس يُرتجَع الماضى منَ النُّوَبِ

وأفضلُ الحلم حلم عند مقدرة
وأعذبُ الجود ما وافى بلا طَلَبِ

يَهنا (العزيزَ) على العلياء منزلة
لم يحَوها ملك في سالف الحقبِ

خـــلافة عَلوي أصـــلُ مَورِثهـــا
ومـــــولِد نبـــويّ الجنس والحَسبِ

لقـــد حويتَ أبا المنصـــور مرتبـــة
من المـــكارم طـــالت أرؤسَ الرتَبِ

أنت المسمَّى المـــرجَّى قبـــل مولدِه
والخامسُ القـــائم(١) المذكورُ فى الكتبِ

ما زلت تخطُبُ للعليـــــاء أنفُسَهـــا
دونَ الملـــوك ببيض الهنـــد والذهبِ

حتى جلستَ على الجـــوزاء منفـــرداً
بهـــا ، وقبَّلتهَـــا فى موضعِ الشَّنَبِ

مـــكارم حُزتَـها ، لمَ يحـــوها ملِك
فى سالفِ الدهر من عُجـــم ولا عربِ

يا ناصرَ الـــدين والجَـــدوى وطالبَها
وفارس القـــول والأنبـــاء والخُطَبِ

هَناك عيد ، أعدت السعد فيـــه لنـــا
عـــوناً على نَكَد الأيـــام والشَّغبِ

برزتَ فيـــه بـــروزَ الشمس كاســـفة
بضوئهـــا لضـــياءِ البدر والشُهُبِ

تأملوا منـــك بالأَبصـــار اذ نظـــروا
تقوى امام ، ولاذُوا منك بابن نبى ...

(١) يريد أنه الخامس بعد أربعة خلفاء هم : المهدى ، والقائم والمنصور ، والمعز .

وقال من قصيدة يهنىء بها أخاه الخليفة العزيز بالله بمولود ولد له :

ليَهنِ الملكَ مالكُهُ الجديدُ
ووارثُهُ وأن رغم الحسُودُ
أتيتَ بهِ أبا المنصور فرداً
تُنيرُ به الليالى وهى سُودُ
يلوحُ عليه منكَ هُدى وفضل
ويظهرُ فيه منكَ حِجاً وجودُ
حكاك ، كما حكيتَ أباكَ شِبهاً
كذاك الأُسد أشبلُها الأُسودُ
وَلدتَ الشمسَ يا صُبح المعالى
فأنجب والد ونما وليدُ
فأفنيةُ الزمان به ملاء
وكوكبُها بأسعُدِهِ سَعيدُ
وليد كانت الدنيا تُرجِّى
ولادَتَه ، وترقُبُه السعودُ
وكم رصدته آمالُ البرايا
حوافلَ ، قبل يُظهرهُ الوجودُ
وكم هتَفت به رُهُن(١) الأمانى
ليطلقها ، ونادتهُ الوفُودُ

---

(١) الرهن : جمع رهن وهو ما يحبس لقاء حق أو دين .

وكم رَجَت الخلافةُ أن تراه
كما يرجو أحبَّتَهُ العميدُ
الى أن تمَّ أمر الله فيه
ولاح السَّعد ، واقترب البعيدُ
فألقت حملها الدنيا تماماً
به ، ولكلِّ حاملة حدودُ
وأعطيتِ الخلافةُ ما تمنَّت
به والله يَفعلُ ما يريدُ
وأُطلعَ بدرها ، وعَلا ضُحاها
وأسفر صبحُها ، ونأى الهجودُ
وقرَّ المُلك ، واتَّطدت بناه
فأمكنه التزيُّدُ والصُّعودُ
وعزَّ الحق ، وارتفعت قَنَاهُ
وجدَّ الوعد ، واشتدَّ الوعيدُ
فكيف اذا نما واشتد حتى
تتم به المصادر والورودُ
وقاد الخيلَ ، واعتقلَ العوالى
وخافته التَّهائمُ والنُّجودُ
وشنَّ على العدا من كل فج
كتائبَ لا تُحَادُ ، ولا تَحيد
على قُب(١) ، سوابقَ ، طاويات
أياطلُها كما تطوَى البرودُ

(١) القب : جمع اقب والقبب ضمور خصر الحصان . والاياطل جمع أيطل وهو خاصرة الحصان .

فعُمرٌ عُمــــرَ باقيــــةِ الليــــالى
تُواصـــــله الســــلامة والخلودُ
يُصــــرِّف أمــرَه قبضـــاً وبســـطاً
يُشَــــدُّ الحـــلُّ فيـــه والعقودُ
ويُرضى الدينَ والدنيـــا جميعـــاً
وتُمحَى فى القـــلوب بــه الحُقودُ
عزيزيٌ ، نـــزاريٌ ، مليــــك
لـــه الدنيـــا ومن فيهـــا عبيدُ
فآيــــات (القُران)(١) له تُـــراث
وأبنـــاءُ النـــبى لـــه جُدودُ
نمـــا بـــين المـــكارم والمعـــالى
فطارفُهـــا لـــه ، ولـــه التليدُ
فهنَّـــاك الالـــهُ به العطـــايا
وأن رَغـــم المُعـــادى والحقودُ
وقابـــلَ نجمـــك الاســـعادُ فيـــه
وشـــدَّ بَقـــاءَ نعمـــاكَ المزيدُ
فأنت أعـــز مـــن مَلَك البـــرايا
ومـــن خَفقت بنُصـــرته البنودُ

وقال يهنىء أخاه العزيز بعيد الفطر :

ثلاثة أعيـــاد تَلاَقـــين : جمعـــة
وفِطـــر ، وعيـــد بالأمام (نزارِ)

---

(١) القران : أصلها القرآن .

كذا قــرّر الله المحـاسنَ كُلَّهـا
عليـك أبا المنصـور خَيرَ قَرارِ
برزتَ بُروز البـدر ليلَة تِمِّـه
وسـرتَ برهبانيَّـة ووقارِ
وقمتَ خطيبـاً تورد الحـقَّ وِردَهُ
وتنصـرُ ديـنَ الله غـيرَ مُدارى
كأن ملـوكَ الأرض فى الأرض ظلمـة
وأنتَ عـلى الآفـاق ضـوءُ نَهارِ

وقال يهنىء أخاه العـزيز بالله بقصر بناه ، وهو من شعره المرتجل :

نجـومُ سـعودك لا تفـتر
وآيـاتُ فضـلك لا تنـكرُ
وفى كـل ما أنت فعَّـالُه
لـكَ المعجـزات التى تَبهَـرُ
فمجـدك ما فوقـه مَصـعَد
وقصـرُك ما بَعـدَه مَنظـرُ
منـازلُ لم يَبـن مثـلا لَها
على الأرض كسرى ، ولا قَيصـرُ
بنـاء تردَّدَ فيـه الجمـالُ
ولاحَ عليـه السَّـنا الأنورُ
فظـاهره العـزُّ مستظهـر
وباطنـهُ التِّـبر والجوهَـر

ولــــو سَحَرت أربـــع قبـــله
لـكان البـديعَ الذى يَسحَـــــر
فهُنّيتَـــــــنه ، وتمـــــلأتَه
وذلَّ لك الدهــــر والأعصُـــــر

جـ - العتاب

وقال من قصيدة يعاتب بها صديقه وصفيه الحسين بن ابراهيم الرسِّي :

أبا عبــــدَ الاله ، ووجـــــه ودّى
مُـــزال عـــن أســـرَّته القناعُ
عَلامَ وأنت فيما صـــحَّ عنـــدى
صـــديق'' ما لخلَّتـــــه انصداعُ
تأخرتِ الرســـائلُ منـــكَ عنى
وأبطَت عـــن تعهـــدِى الرقاعُ
أســـهوا يا ابنَ ابراهـــيمَ عـــنى
فأســـهو ، أم أعـــاتِب ، أم أُراعُ ؟
ومثـــلُك لا يَبيــــع أخاً ببَخس
عـــلى حـــال ، ومثـــلى لا يُباعُ
ولســـنا نلتقى لُقيـــا اجتمـــاع
فيُغنينـــا عـــن الـــكتب اجتماعُ
ولـــكن تَعـــرب الأقـــلامُ عنـــا
اذا افـــترقت بشخصـــينا البِقاعُ
وأكثـــرُ حظّنـــا فى البُعـــد أنّـــا
أمِنـّــا أن يُروّعَنـــا الوداعُ

بايئةِ حُجــــة تحتــجُّ عنــــدى
وليس لواضِــــح الحــــق اندفاعُ
وانتَ من المــــلال عــلى انتهـــــاء
شـــهدنَ بـــه عليـــك ليَ الطباعُ
أبا عبـــــد الاله ، ووفـــــدُ ودّي
لديــكَ ثوى ، وليس لـــــه زَمَاعُ
فهــــاك حـــديثَ ما عنـــدى بنص
اليـــك ، وليس كالخَـــبر السماعُ
ســأذكر ان نسيتَ قــديمَ عهــــدى
وأُســـهِلُ ان ألـــمَّ بكَ امتناعُ
لأنى ليس فى طبــــعى انقــــلاب
يُـــذمُّ ، وليس فى ودّى خـــداعُ ...

وقال فى عتاب بعض أصحابه :

ان تكن قـــد سلوتَ عمَّـا عهــدنا
واطّرحت الســؤالَ لمــــا بَعُدنا
فانـــــا حـــافظ لعهـــدكَ راع
لكَ ما عشــــتُ أن حضـــرنا وغِبنا
ما تعـــرفتَ حالنـــــا بكتـــاب
مثـــلَ ما يَفعَـــل المحب المعنىَّ
لا ولا رحتَ حـــينَ غِبنــــا ثلاثة
تشـــتكي وحشـــة التفـــرق منا
خيرُ أهل الوفاء ذو الحفظ بالأفعـــال ،
لا مـــن يقـــول : اِنّا ، وانّا !!

د ـ الفَخر

وقال يفتخر :

ليس من سادَ عن وراثة جَد
وبحظ من الحظوظ مُتاحِ .

يستحقَ الثنَا ويستوجبُ الشكـ
ـرَ ، ويَحوى مدائِح المداحِ

انما السيدُ المعلَّى المفدّى
مَن عَلا للعُلا صُدورَ الرماحِ

ورَمى ليل كلُ خطب بَهيم
بذكاء أضوا من المصباحِ

واقتنى العزَّ بالظُبا والعوالى
واشتَرى الحمدَ بالنَّدى والسماحِ

فكذا تُبتنَى المكارمُ والمجـ
ـدُ ويُستبعدُ العدُو المُلاحى

لا كمَن قد جرى برجلِ سِواه
وسما طائراً بغيرِ جَناحِ

لا ألفتُ العُلا ولا الفتنى
ان توشَّحتُ دُونها بوشاحِ

أو ترفهتُ أو تشاغلتُ عنها
بأباطيل قَينة أو بِراحِ

لا ، ولا ابيَضَّ لى سنا المجد ان لم
استجِد غسلَه بنَزف الجراحِ

وأُلاقِ العُداةَ عنهُ بعزمٍ
عَلَوِيٍّ يفلُّ حدَّ الصفاحِ
وببطشٍ يَفري الجماجمَ والأعنـ
ـاقَ فَرْيَ المُدى لُحومَ الأضاحي
أنا فَردُ النُّهى ، ورَبُّ المعالي
وحُسامُ الكفاحِ يومَ الكِفاحِ
أنا مفتاحُ قُفْلِ كلِّ نوالٍ
يومَ يَغدو النَّدى بلا مِفتاحِ
أنا كالجِدِّ في الأمورِ اذا ما
كان غيري فيهنَّ مثلَ المُزاحِ
لا كراضٍ من العلا بادِّعاءٍ
وبعِرضٍ مجرَّحٍ مُستباحِ
فَسَلِ المجدَ عن صباحي وليلي
ومَقيلي ، وغُدوتي ، ورَواحي
هل يَسرُّ العلاَ مقالي وفعلي
وارتياحي لكسبها واقتراحي ؟

وقال من قصيدة يفتخر :

وطاوٍ على حَسَدٍ كَشحَهُ
قديمِ العداوةِ مشهورِها
يُساءُ بكسبي العُلاَ كلَّما
أغرتُ بجودي على عِيرِها
ويأملُ شأوي ، وهَل يغتدي
أميرُ المعالي كمأمورِها ؟

فان تلك هاشمُ قد عَدَّلت
منابتَنَا في عناصيرِها
فما نستوى في الحِجا والنَّدى
وَطيِّ الأمور ، ومنشُورها
دَعُوا لى العلا دُون ساداتِكُم
فانّيَ سُور على سُورها
وانى نهضتُ بمكسورها
وآنستُ وحشَةَ مهجورها
وأنتم تَطُون(١) ذُنابى العلا
وتزدحمون على زُورها
ملأتُ عيونكمُ بالغبار
فحسبكمُ مَسحُ تغبيرها !
ولا تطلُبوا رتبتى ... اننى
ملأتُ السماءَ بتكثيرها
ولا تفعلوا فِعل آبائكم
فتَخطُون خَطوى بتطهيرها
ورثتُ سياسَة (مَهديّها)
وحزتُ شجاعَة (مَنصُورها)
ولم أنحرف عن سجايا (المعزّ)
وقائمه يومَ تقريرها
ولم أُلقِ مِن ناظرى نظرة
الى منظر غيرِ منظورها

(١) تطون : أصلها : تطاون .

ولم ترثوا غير أنسابِكُم
ولكن ولعتُم بتكديرها ...

وقال من قصيدة يفتخر بنفسه وبنسبه الفاطمي العلوي الشريف :

نحنُ الذين بهم تسامَت هاشم
حتَّى حوت شرَف المعالى أجمعا
رَهطُ النبي وآله وبنوه من
دون البنين ، وَنَبتُه مترعرعا
والمصطفين المرتَضَين من الورى
والمفضِلينَ بما حَوَوه تسرُّعا
والمطعِمين اذا الرياح تناولت
شُعثَ الأرامِل ، واليتامى الجوَّعَا
والحازمين العازمينَ شهامة
والقائلين الفاعلينَ تبرُّعا
والفاتقين الراتقين سياسة
والطاعنين الضاربين تشجُّعَا
والمُصبحين لكلّ عاف ملجأ
والرائحين لكل عان مَفزَعا
والطالعين على البرية أنجُماً
والكائنين لهم غيوثا هُمَّعا
والفاطميين الذين اذا انتَمَوا
حازوا التُقى والفضل أجمَع اكتعا

لا ندَّعي ما ليس يعـــــرفُهُ الورَى
منــــا اذا كَذَبَ المفـــاخرُ وادعّى
واذا تَصـــنَّع للعلا مُتَصــنِّعٌ
لم نَاتِ افعــــالَ الجميل تصنُّعا
شرف بَنَته لنـــا البتـــولُ وبعلُها
وابناهمـــا حتى رســـا وتمنَّعا
واســتودعوه بعــدَهم أبنـــاءَهُم
فبنَـــوا عليــــه وشيَّدوا المستودعا
نحنُ الذين بنـــا الـكتابُ مُنزَّل
وبنـــا يُجيب الله دعــوةَ مَن دعا
ولنا الندى ، ولنا السُّدَى ، ولنا الهُدى
ولنا الجَدا ، ولنا الرَّدى يوم الوعى(١)
لم نُلفَ الا ماجـــداً ، أو راشـــدا
أو رافدا ، أو صاعـــدا ، أو مِصقعا
ولربَّ مضـــطرٍ دعاني صـــارخاً
يرجـــو نـــداىَ ونُصرتي متكنِّعا
لبَّيتُـــه متسرعـــاً ، ومطـــرتُه
متدفعـــاً ، ونصـــرتُه متطوعا
وَطرُوقِ ليـــل فاته مســـتنبحاً
حتَّى يَخيلَ من العُـــواء سمعمعا
أوقـــدتُ ناري باليفـــاع لعينـه
ودعـــوتُه وَهنـــاً اليَّ فاوضعا

(١) الوعى بغير نقطة على العين ، هى الوغى بنقطة ، وهى الحر..

وَقَريتُه بشرى ، فبـــاتَ ممهَّـــدا
واَلَــــمُ غَرثانا ، فأُلفِيَ مشبَعا
وكتيبـــة فرَّقتُهـــا ، وشــدائد
فــرَّجتُهُنَّ ، ولـــم أبت متضجعا
اقبلتُهـــا بيضَ الســيوفِ عــواريا
يومَ الكريهـــة ، والعـــوالى شُرَّعا
أَبَنِي « علي » أن نكـــن ننمى الى
حَسَب أنافَ بنـــا وَجـــد أروعا
فلقـــد علمـــتم أننى أَغشى الوغى
وانـــوبُ فى الجلَّى قـــؤولا مُسمِعا
ولقـــد علمتم أننى رُضتُ العـــلا
يَفَعا ، وحاولتُ المـــكارم مُرضعا
أرمى مُعادِيكم ، وأجبرُ صَدعكـــم
وأذبُّ عـــن أعراضـــكم متورّعا
فدعـــوا لىَ الشرفَ الـــذى شيَّدتُه
اذ هِضتمـــوه ، فانـــكفا وتضعضَعا
ضيَّعتموه ، ولم يكـــن آباؤكـــم
لِتضيعَـــهُ ، فحفظتُ ما قـــد ضُيِّعا
والمرءُ لا يحـــوى العـــلا بجـــدوده
اذ لا ينـــالُ المـــرءُ الاَّ ما سعى
فاذا زكت أفعـــاله وأصـــوله
كانت لـــه قممُ الـــكواكبِ مَربَعا
انى لتغزُونى الخطـــوبُ مُغِـــيرة
فيـــكم ، وبى صـــدق اللقاء سَمَيذعا

لا أستكينُ من الزمان ضراعة
كلاّ ، ولا أشكو وغاه توجعا
واذا وعدتُ وفيت لا متبرما
واذا هممتُ فعلتُ لا متوقعا
لا تبطر السراء بي خلقا ، ولا
أغدو على ضرائها متخشعا
لى فى المشارق والمغارب جولة
يغدو بها قلبُ الزمان مصدعا
تستجفل الآسادَ عن أجماتها
وتشيّب الطفلَ الذى ما أيفعا
فادفع بحد السيف كلّ ظلامة
ان لم تجد يوماً سواه مدفعا
واركب رءوس السمهريّة فى العلا
فالرمح ناه للعلا أن تشسعا
فبذاك أوصانى الوصىُّ ورهطه
وعليَّ فرض أن أطيع وأسمعا
فالفرع ليس يخالف الأصلَ الذى
منه ابتدا نبتاً ، وعنه تفرّعا
عجباً لمفتخر بعباسية(١)
يزجى القوافى ضلة وتخدعا
والله لا ستروا الضحَى بأكفّهم
أبدا ، ولا منعوا السنا أن يلمعا

(١) العباسية : الخلافة العباسية أو النسب العباسى الذى كان يعارضه الفاطميون ابناء فاطمة وعلي بن ابى طالب .

هـ- الرثاء

وقال يرثي والده الخليفة المعز لدين الله :

كيف لا تعدم الجسوم القلوبا
وترى نضرة الوجوه شحوبا ؟
من يعزّى الجياد ، أم من يسلّى
مجلس الملك والسرير الكئيبا ؟
فقدوا بعدك القلوب اللواتى
شقها واجب ، فشقوا الجيوبا
وا معزّاه ! وا معزّاه ! حتى
يغتدى الدمع بالدماء خضيبا
فليذق غيرى الحياة ... فانّى
لا أرى للحياة بعدك طيبا

وقال من قصيدة يرثي بها أخاه (عقيلا) ، ويرثى معه الشهداء من أهل البيت :

قسمة الموت قسمة لا تجور
كلّ حي بكأسها مخمور
يستوى كلّ من تفاوت فيها
لا أمير يبقى ولا مأمور
نحن فى غفلة ، وللموت فينا
طالب ، مدرك ، مجد ، قدير

نستطيب المُنى وهـــنّ عـــواص
فنُطيـــلُ الآمـــالَ وهي غرورُ
ليس ينجـــو من الغـــرور سوى من
قـــبره في فـــؤاده محفورُ
كَدَّر الموتُ صفوَ عيشي وهـــل في الأ
رض عيش ما شـــابَه تكديرُ ؟
وتذكـــرتُ بالمصـــائب قـــومي
وجـــدودي ، اني لقـــومي ذَكورُ
أين قـــومي الأُلى الذين بهـــم كا
ن يَموتُ الغَنـــا ، ويحيـــا الفقيرُ
لو حَمَى معشرا مـــن القـــوم حام
لحمت قـــوميَ العُـــلا والخِيرُ
أيـــن آبائيَ الـــذين تَفانَوا
وبهـــم كـــانت الليـــالى تنيرُ ؟
أيـــن جَدى « حسـين » بن عـــلي
أيـــن « زَيدُ » المفجَّع الموتـــورُ ؟
أين « مَهدِينـــا » الملَّك والقـــا
ئم ، أين « المعـــز » و « المنصورُ » ؟
أين تلك الحُلوم والفضـــلُ والألبـــ
ـــاب بـــل أيـــن ذلك التدبيرُ ؟
أيـــن ذاك السلطـــان والملك والمنـــ
ـــعة والبطش والعـــلا والظهورُ ؟
أين تلك الجيـــوشُ والعـــزّة القعســـ
ـــاءُ والجمعُ ، والعـــديدُ الكثيرُ ؟

فرّقتهم يَدُ المنـــون فبـــادوا
وحوتهم بَعــدَ القصورِ القبورُ
سَلف صالح ، وأمــلاكُ صــدقٍ
بهمــو تســتوى ، وتلوى الأمورُ
ثم عشــنا ثلاثــة ، بغــم الحــا
ســد من عيشــنا الثرى والصخورُ(١)
فَعَمرنا بـــذاك مُدة دهــر
كلنــا ظاهِرُ الــرضى مسرورُ
لم يعش (للمعز) نَســل ســوانا
كــلُ مَيت بنجــله مذكورُ ...
فاصابت يد المنــون (عَقيــلا)
وهــو مثــل القضيب غض نضيرُ
حين هَزَّ الشــباب أعطافه الغيــ
ــدَ وحــين اســتوى له التعميرُ
لم يُجــاوز حَدَّ الثــلاثين الاّ
بليــال ليســت لهــا تكثيرُ
أين تلك البشاشةُ الغضــة الطَّلــ
ــقةُ والمنظــر البهــيُّ المنيرُ ؟
أين ذاك الطَّبــع السليمُ وذاك الخُلـ
ــقُ العَــذبُ والسَّــنا والنورُ ؟
أين ذاك البشر الــذى كان يبــدو
مــن ســناه للنــاظرين البشيرُ

(١) يقصد بالثلاثة : تميم ، ونزار . اما اخوهم الرابع عبد الله فقد توفي في حياة ابيهم .

كان عفَّ الضمير عَذبَ السجايا
ليس في يُسر أمره تعسيرُ
صادقَ الود ، واري الزَّند لا يعـ
ـدوه في كل حالة تطهيرُ
صار مِن بَعد ذلك الأنس وحشاً
وهو في قعرِ حُفرة مهجورُ
آه من لوعة لها في سواد الـ
ـعَين دمع ، وفي القلوب زفيرُ !

وقال من قصيدة يرثي بها أخاه عبدالله ، وهي من نفس القافية والوزن في مرثيته السابقة لأخيه عقيل :

كل حي الى الفناءِ يصير
والليالى تعلة وغرورُ
والى الله يرجعُ المَلكُ والمُلك
ويُفضي الأميرُ والمأمورُ
واذا لم يكن من الموت بُد
فطويلُ الحياةَ نزر حقيرُ
أيُّ خطب أرى ، وأيُّ ليالٍ
دهم الناسَ صرفُها المحذورُ
كيف لا تأثرِ المصائبُ في النفـ
ـس على مَن هُو النفيسُ الأثيرُ ؟
وكذا الرزءُ بالعظيم عظيم
وكذا الرزُ بالحقيرِ حقيرُ

كيف لمَ تسقطَ السماءُ على الأر
ض ، ولم تَهوِ شمسُها والبدور ؟
يومَ ماتَ الأميرُ بل يوم ما
ت الصبر فيه ، بل يومَ ماتَ السرورُ
يومَ بُلَّ الثرى عليه من الدمـ
ـع ، وقُدَّت على القلوب الصدورُ
يومُ حطَّت عمائم ، وأذاعت
سرَّها فيه أدؤر ، وخدورُ(١)
يوم أبكى العيون حتى بكاه الأ
سَدُ الورد والغزالُ الغريرُ
وسمعتُ الزفير وهو صُراخ
ورأيتُ الدموعَ وهي بحورُ
في أوان هو الشتاءُ فأمسى
بلهيب الأنفاس وهو هجيرُ
شَيَّعت نعشَه ملائكةُ الله
وروَّتهُ رحمة وطهورُ
بمقام غابَت وجوهُ التعزِّى
عنه ، والحزنُ والأنامُ حضورُ
قَبروا شخصَهُ ، ووارَوا سناه
وتولَّوا والفائز المقبورُ
كم نصير له هناك ، ولكن
ليس من سَورة الحِمام نَصيرُ

---

(١) حطت العمائم ، اى حط المعزون عمائمهم عن رءوسهم وخلعوها ، لان الملوك لا تعزى في العمائم ، والادؤر : جمع دار .

لـــو تـُركنـــا الى الفـــداء فـَدَ ّاه

مِن يــدِ المــوت عالمُــون كثيرُ

وســيوف ومثلـُهـُـــن عبيــد

ورمـــــاح ومثلـُهـُــــنّ عشيرُ

قـَــدّس اللهُ رُوحَــــه وضريحــاً

حلّـــه ذلــك السّـــنا والنورُ

يا أخى ! أى عـــبرة ليس تـَهمـــى

وفـــؤاد عليـــــك ليس يطيرُ ؟

يا أخى ! ان بكتـــكَ عينِى فـــانى

بالبـــكا والأسى عليـــك جديرُ

يا أخى عبـــد الله ! أىّ مســاع

لــم يـَفقهـُنّ ســعيُك المبرورُ ؟

وقال يرثى قينة مغنية :

ذكرتـُك بالرّيحـان والراح ذكـــرةً

مردّدة كـــادت لهـــا النفس تزهـَقُ

فلما تنـــاولنَ الغِنـَاء شـــوادياً

وأ َتبــــع مزمُوماً من الضـّرب مطلقُ

تتبـّعـَتِ العينـــان شـَخصــكِ فيهمُ

فلمـــا تأى ظلـّت دمـــوعى تـَر َقر َقُ

الى الله أشـــكو فقدها مثل ما شـــكا

الى الله فـَقدَ الماءِ عطشـــانُ مُوثـَقُ

كان فـــؤادى منـــذ بان بهـــا الرّدى

جـَناح و َهـَت اجـــزاؤه فهو يخفـُقُ ..

و ـ الغزل والنسيب

وقال مقطوعة فى الغزل الخالص الذى ليس تقديماً لغرض آخر :

ولمّا تلاقينا ولم نخش كاشحاً
ولم نتكاتم ما بنا من جوى الحب
جعلتُ يدى مستخبراً فوق قلبها
وجالت بيمنى راحتيها على قلبى ..!
فلما تصادقنا اختياراً ورؤية
تعلّق منها الصبُّ بالمدنَف الصَّب !
وبتنا على غيظ العدوّ ورغمه
ضجيعين نجنى الطيّب من شجر القرب
تنيرُ بمثل البدر من صحن خدّها
وتفترّ عن نور الضحى ، باردٍ ، عذبِ

وقال أيضاً :

وا بأبى الظبىُ الذى لو بدا
للبدرِ ، قال البدر : وا ظلمتاه !
أثّرتُ بالألحاظ فى خدّه
فانتصفت منى له مقلتاه
ثم رمى قلبى بألحاظه
وا بأبى ألحاظُه من رماه !
كم سفكت أجفانه من دم
نمّت عليهن به وجنتاه

يا قـــوم ما بــال ظلاماتنـــا
في الحُب لا ينظــر فيهــا القُضاه ؟
فتمنــــعَ المحبــوبَ مِن زهــوِه
وتُنصــــف العــاشقَ مِمَّن جفاه
لا تطلبــوا خَلقــاً بقَتــلى سِــوى
فــواتِر اللَّحــظ ، ووَردِ الشّفاه !
لو قيــل لى : ما تشــتهى ؟ لم أَقل
شــيئاً سوى قَلعِ عيــونِ الوُشاه
يا مــن بــرانى حبّــه ، وانتهى
بىَ العَنــا في هَجــرِه مُنتهاه
مَنعتنى الطيفَ بمنــــع الــكَرى
منّى ، فــكدَّرتَ عــليَّ الحَياه
واللهِ لا أَنسى لهــــا قولهــا
مِن خَلف سِجف السِّتــر واضَيعتاه !
متى اســتوت في الحب أقــدامُنا
حتّى أواتيــــه وأَبغِى رِضاه
ثُمَّ عَلتهــا رقــة فانثنت
قائلــة : يُجــزَى بمثلي هَواه
فوجّهت بالــدُّر لِى ثَغــرَها
وأرســلت لى وجهَهــا في المِراه ..!!

وقال في الغزل أيضاً :

قــد كنتُ أركبُ في هَواكَ مســاءتى
فِعــلَ المُحبِّ الصــبِّ بالمحبوبِ

وأجودُ بالنفسِ النفيسةِ جاهداً
لكَ في الهوى ويَطيبُ لي تعذيبي

كيما أراكَ على الوفاءِ وأجتني
معسولَ وصلِكِ وهو غيرَ مشوبِ

فغدرتَ غيرَ مغادرٍ ، وقطعتَ غيـ
ـر مُقاطعٍ ، وأرَبتَ غيرَ مُريبِ

غالطتُ عقلي في هواكَ وفطنتي
حُسنُ الوفاءِ بصحّةِ التركيبِ

فالعذرُ عُذري اذ جعلتكَ حاكماً
في القلبِ مني ، والذنوبُ ذنوبي

واللهِ لا استمتعتُ منكَ بنظرةٍ
ولو أنّكَ المَعزِيّ(١) الى « يعقوبِ »

قد كنتُ أحسنَ من مُناقلةِ الثنا
فكسوتَ وجهَكَ وحشةَ التأنيبِ

وقال من الغزل في مفتتح قصيدة يخلص منه الى مدح والده الخليفة المعز :

يُعَدُّ وجيعَ الوجدِ ما هيّجَ البُعدُ
وأوجعُ منه قُربُ مَن قُربُه الصدُّ

أبى الدمعُ الا أن تَفيضَ شؤونه
فيبدو اذا أبدتهُ ما لم يكن يَبدو

---

(١) المعزى الى يعقوب اى المنتسب الى سيدنا يعقوب وهو ولده يوسف المشهور بالجمال . والفعل عزا ، واوي ، ويائي .

وعصيانُ دمعِ العـــينِ غَدر برَبّه
اذا بانَ عنه الصــبرُ واحتكم الوجدُ

وما ينقضى عهــدُ الأسى مــن متيَّم
اذا لم يَدم يــوماً لمحبــوبه عَهدُ

أآمـــرتى بالصـــبر وهى تَحُدُّه
وعاذلتى فى السُقــم وهى لـــه جندُ

كما لم تجد عينـــاكِ بُدّاً من الضَّنى
كـــذا ما لجسمي مِن ضـــنى بهما بُدُ

اذا وعدت هنـــد ثَنى جُودَها الوعدُ
وأن سمَحت يـــوماً فنـــائلها ثَمدُ

يَضيق بها خلخالهـــا ، وســـوارها
ويجذبهـــا مِن خلفهـــا كَفَل نهدُ

وان هي أسرَت فى الـــدجى نمَّ حُسنُها
عليهـــا ، ونمَّ الحليُ والمِسك ، والنَّدُ

لهـــا خُلُق فى كلِّ يـــوم من الجفـــا
طريف لـــه بين الحشـــا حُرَق تُلدُ

ولم أرَ مثلى يكره العـــار خاليـــاً
ويُصبيه سِحرُ الطّرف والجيد والخدُ ...

وقال وهو من الغزل المصنوع :

ولمـــا هززتُ السَّيف ثم اشـــتملتُه
عـــلى ذابل أضنى من الصَّبِّ فى الصد

لحَتنى وقالت : لِم تشــــبهتَ ظالمــاً
بلحظى وقـــدّى ، قلْ هذا وما يُجدى
فهبــك طَبعتَ السيفَ من لحظِ مُقلتى
وهَبــك قَددتَ الذّابل الرمح مِن قدّى
ألِلرمح رِدف مثــــل ردفى يَزينــــه
فيُشبهنى أم فيــهُ رمّانتــا نَهدى ؟
وللسيفِ غِمد مثــلُ غمــدىَ يسلّه
ويُغمـــده فى قلب كــلّ فتى جلدِ ؟

وقال :

بالله يا مُشــــــبهةَ الخَمــــــر
لــــوناً ويَا أضــــوأَ مِن بدرِ
رُدّى فـــؤادى حَســـبُه بعضُ ما
سَقَتـــــهُ عينــــاك من السّحرِ
صُنتُكِ عن لحظىَ يا مـــن غَــدت
تـــكاد مـــن رقّتهـــا تجرى
عِقدك هـــذا الجـــوهرُ المَحض أم
ثغـــرك نظّمتِ عـــلى النحــر ؟

وقال :

قالت : أغدراً بنــا فى الحُب ؟ قلتُ لها
لا نالَ غايَة ما يرجـــوه من غَدرا

قالت : فلِم لَم تزرنا ؟ قلتَ زَاركُم
قلبى ، ولم يَدر بى جِسمى ولا شَعرا
قالت : كذا يكتم العشّاق حُبَّهُم
فينعمون وَيجنون الهَوى نَضِرا ؟
قلت : اسمحى لى بتقبيل أعيش به
قالت : وأىُّ مُحب قبَّلَ القَمَرا ؟

وقال متغزلا بفتاة من بنات الأديرة :

ومُظهِرَةٍ عقدَ همبانها
تَدين بطاعةِ رُهبانها
تراءت لنا يومَ دَير القُصَير
وقد فوّقَت سَهمَ أجفانها
فلما قضت حَقَّ قُربانها
وأدّت فريضة صُلبانها
رمتنا بلحظ يقدُّ القلوب
ويجرحُها قبلَ أبدانها
فلم أر ذُلا كذلِّى لها
ولم أرَ عِزّاً كسُلطانها
محبَّبة أبَداً للنفوس
وان قَطَعتها بهجرانها
ألا بأبى جَورُ أدلالِها
عليَّ وافراطُ عدوانها

د ـ الوَصف

قال يصف عود الغناء :

لقد نَطَق العُود عن سرِّه
فغادَرَ كلَّ صحيح كئيب

فشبَّهتُ ميل معَاصيره
اذا ملِن بعد استواء وطيب

بوجهِ حبيب بدا ضاحكاً
فعنَّ له لحظُ عين الرقيب

فلما استوى نُطقُ أوتارِه
حكى نقرُها حُسن لفظِ الحبيب

تجسُّ الأنامل دَستانهُ(١)
كما جسَّ عرقَ العليل الطبيب

فيُسمِعُنا حركاتِ السرور
ويكشِفُ عنَّا بناتِ الكروب

وقال يصف نبات النيلوفر :

وبركة تزهُو بنيلُوفَر
نسيمُهُ يشبهُ نَشرَ الحبيب

---

(١) الدستان وجمعها دساتين هي الرباطات التي توضع الاصابععليها.

مفتّح الأجفانِ فى نومه
حتى اذا الشّمسُ دَنت للمغيب
أطبقَ جَفنيهِ علَى خدّه
وغاصَ فى البِركةِ خَوفَ الرقيب

وقال يصف فوارة ، أو نافورة تقذف الماء فى وسط غدير :

وقاذفة بالماء فىَ وسطِ بركة
قد التحفَت وَحفاً من الشّعر سجسجا
اذا قذفت بالماء سلّته مُنصلا
وعاد عليها ذلكَ النّصلُ هودجا
كأنّ عيون العاشقين تُعيرُها
من الدّمع سَجلا صافياً لا مضرّجا
تخالُ بُروز الماءِ من جَفنِ عينِها
قَضيبَ لُجينٍ سُلّ منه مدملَجا
تحاول ادراكَ النجوم بقذفِه
كأنّ لها قلباً على الأفق مُحرَجا
لدَى روضة جاد السّحابُ ربوعَها
وزَخرفها دُونَ الرياضِ ودبّجا
كأنّ غصونِ الأقحوان زُمُرُّد
تَعَمّمَ بالكافور ثم تتوّجا
ونوّار نَسرين كأنّ نسيمَهُ
من المِسكِ فى أفق السّماء تأرّجا

وقال يصف الناعورة :

وباكيـــة من غــير دمـــع بأعيُن
علـى غــير خــد دائمــا تتحدَّرُ
يُغنّى بهـا زَجــلُ المدير لقطبهـا
فيُطربهـــا حُســنُ الغناء ، فتنعَرُ
اذا نــزف العشّاقُ دمـــعَ عُيونهم
فادمُعُها مـــع كثــرة السّكب تَغزُرُ

وقال يصف روضة :

يا يـــوما اسـعفنا بكــل ســرور
طيبـا ، فنلنــا منــه كــلّ حبورِ
ظِلنا نسقى جَوهـــرا من قَهـــوة
قــد عُتّقت فى جوهـــر البلّورِ
فى جنـــة قـــد ذُلّلت ثَمراتهـــا
وتسربلت بغـــلائل مـــن نورِ
وَجَرى النســيمُ على ثِمار غصـونها
فتضـــوّعت بالمســك والكافُورِ
ينســـابُ فى الأكنـــاف منها جدول
كالنّصـــل أو كالحيّـــة المذعورِ
ما بين أُتــرُج يلـــوحُ كأنـــه
كُبرى الثـــدىّ الصُفرِ فوقَ صدورِ
وكــأنّ نرجسـه اذا اســـتقبلتَهُ
يرنـــو باجفـــانِ العيـــون الحُورِ

وكأنما النَّارنج في أغصانه
أكَر تروَّت من دم اليعفورِ (١)
وكأنما نَشَر الربيعُ ملاحفاً
فيها مُريَّشَة من المنثورِ
وكأنَّ سوسنها خدود قد بدت
للثّم فيها زرقةُ التأثيرِ

وقال يصف امرأة صفراء اللون ، وكان مولعاً بالنساء الصُفر :

وضعيفةِ الألحاظ ساحرة
زادت لواحظُها على السِّحرِ
صفراءُ يحسبها مُحدِّثها
ذَهباً يكاد بضاضة يجرى
فكأنما خَفَرُ الحياءِ بها
سَقَمٌ غدت منه على سُكرِ
وكأنَّ رقَّة لفظِها جمَعت
طيبَ الوصال ولذَّةَ البِشرِ
فحديثُها كالبُرءِ أو كرِضا الـ
ـمحبوب بعد السُّخط والهَجرِ
ان قلَّ أدَّته بلا لَبَث
أو طال نَصَّته بلا هَذرِ
ترتجُّ مِن ثِقَل روادِفُها
حتى تنوءَ بدقَّة الخصرِ

(١) اليعفور : ولد البقرة الوحشية .

فكانهـــا قَمـــر عـــلى غُصْنْ
قـــد لاح فى ليـــل من الشَّعرِ
فى صـــفرة كالخمـــر شـــاهدة
ان الجمـــــالَ المحضَ للصُّفرِ
واذا مشَت من لينهـــا اضـــطربت
مثلَ اضطراب المـــوجِ فى البحرِ
وكأنَّهـــا تخطـــو اذا نَهَضت
فـــوقَ المناصِل أَو عـــلى الجَمرِ

وقال يصف الشمعة :

ومشرفَة وجنـــحُ الليـــل قَارُ
لَهـــا مـــن كُلِّ ناحيـــة منارُ
تضرُ بنفعهـــا فلهـــا دُمـــوع
عـــلى الخـــدَّين مسبَلة غزارُ
أعار الغصـــنُ قامتهـــا اســـتواء
ووكلهـــا عـــلى الليـــل النهارُ
اذا ما رأســـها قُطفَ استَفاقَت
وجَانبَهـــا التخـــوفُ والحذارُ
أقـــولُ ونارُها تســـطو عليهـــا
كمـــا بالليـــلِ يسطُو الانفجارُ(١)
بنفسى كـــلُ مهضـــوم حَشـــاها
اذا ظُلمت فـــليس لَهـــا انتصَارُ

(١) الانفجار هو انكشاف الليل بالصباح .

وقال يصف (فرساً) يدعى السرور :

نِعم المُعـــينُ عـــلى الوغى فى مازق
لبست به الأبطـــالُ نَقعَ القسطلِ (١)
فرس أشمُّ المنـــكبين ، مقـــابل(٢)
يَرمى الجنـــادِلَ مِن يديـــه بجندلِ
تنبيك عـــن أفعـــاله أعضـــاؤه
حُســناً ، وعَن أُخراه عِتـقُ الأوَّلِ
عَجِرُ الوظيف(٣) كأنَّ لون أديمِـــه
حُبُكُ السَّحـــاب بعـــارض متهللِ
وترى له ذَنَباً يهُـــزُّ فضـــولَه
ويجرُّهـــنَّ كَريطَـــة(٤) المتغزلِ
فى حُسن عُرفٍ قد تكامـــلَ نبتُـــه
جَعـــدٍ كعاشـــية الردَاء المسبَلِ
وكأنَّمـــا مبيضُّ أعـــلى وجهِـهِ
وجبينِـهِ ضَـــوءُ الصـــبَّاح المقبلِ
أَمضَى اذا أرســـلتَه فى حلبـــة
من قـــول : لا ، ومن التفـــاتة مُعجَلِ

---

(١) النقع والقسطل : الغبار .
(٢) مقابل : أصيل كريم .
(٣) الريطة : الثوب الرقيق : والمتغزل : الغازل .
وعجر الوظيف : صلبه .
(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيـل والابل وغيرها ،

وكانَ دفّةَ سَرجِه ولجامِه
شُدّا على ظَهرِ السِّماكِ الأعزلِ
وكأن حافرَه اذا وطِىءَ الحصَى
شَدّا يخُطّ به حِسابَ الجُمَّلِ
ويسابقُ البرقَ المُثارَ بخَطوِه
ويَزيد فيه على الصَّبا والشَّمألِ
وتراه يمرح فى العنان اذا بَدا
مَرَحَ المحبِّ التائِهِ المتدلّلِ

ط - شعر الشكوى

وقال فى مطلع قصيدة يخاطب بها «العزيز» :

رضيتُ بحكم سابقةِ القضاء
وأن أضحَت تكدّر صَفوَ مائى
وهل يستطيع أهلُ الأرض حلا
لعَقد شُدَّ مِن فوقِ السماءِ ؟
الى كَم تهدِمُ الأحداثُ رُكنى
وترمينى بجَور واعتداءِ ؟
يعاقبنى الزمانُ بغير ذَنب
وتخذُلنى يدى وذوو اصطفائى
وَيَسعى بى لمن لو جاء ساع
به عندى لخَضّبَ بالدماءِ

(١) السماك الأعزل : نجم في السماء وسمى أعزل لانه لا شيء بين يديه من الكواكب ، وهناك أيضا السماك الرامح .

حيـــاتى بـــين واشٍ أو حَسود
وســـاعٍ بى يُسَرُّ بطـــولِ دائى
فان وَشَّى عـــليَّ الـــزورَ بـــاغٍ
فصـــــبراً للمقـــادِرِ والقضاءِ

وقال يشكو الدهر مخاطباً أباه :

يا دهـــرُ كَم يشـــتدُّ حـــربك
ويكـــرُّ بالنـــكبات خَطبُك ؟
ما بـــالُ جَـــوركِ لا يُفيـــ
ـــقُ ، ولا يَلـــينُ عليَّ قلبُك
عاصيتَنى حـــــتى لقـــــد
أوهمتـــــنى أنـــــى أحبتُك
يا دهـــرُ ما ذنبـــى اليـــ
ـــك ، وقـــد تعـــاظم فيَّ ذنبك
بينى وبينـــك فى الـــذى
أوليتـــــنى ربِّى ، وربتُك

وقال المقطوعة التالية ، وهي منثورة فى كتب الأدب والتراجم ، وفيها كثير من التصبر :

أما والذى لا يملكُ الأمرَ غـــيرُه
ومَن هـــو بالســـر المـــكتَّم أعلمُ
لئن كانَ كتمانُ المصـــائب مؤلِمـــا
لإعلانهـــا عنـــدى اشـــدُّ وآلَمُ

صَبَرت عن الشكوى حياء وعفة
وهل يشتكي لدغَ الأراقم أرقَمُ ؟
وبى كلُّ ما يُبكى العيونَ أقلُّه
وان كنتُ منه دائما أتبسمُ

وقال يشكو ضياعه وخفاء اسمه من الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر مع ذكائه وحُسن استعداده :

أأُظهرُ أم أُخفَى الذى بى من السُقمِ
وكم أدفع الأيام بالصبر والحِلمِ
أعلّل نفسى بالأمانى تجلداً
وأُوهمها أنَّ النزاهة فى العُدمِ
صبرتُ على الأحداث حتى أذبنَنى
وحتى انتَهت سكِّينُهنَّ الى العظمِ
ولم يَلقَ مخلوق من الدهر مثلَ ما
لقِيتُ من الأرزاء والجورِ فى الحُكمِ
فما عنفت غيرى الخطوبُ بجَورها
ولا ظَلمت أحداثُها أحداً ظُلمى
أرونى مَريضَ القلب مثليَ والمنى
عليلَ الغِنى والحالِ والحظّ والجسمِ
وما خذلتنى همَّتى فألومها
وما ضاق بى مذ كنتُ فى محفل علمى
وأنفَذُ مِن رُمح الشجاع سياستى
وأبصَرُ مِن عين البصيرِ ضيا فهمى

فلِم اختفى تَحتَ التراب مضيَّعاً
وقد نوهت فى الخافقَين العلا باسمى ؟

ومالِيَ أخطو فى الحضيض تخلّفاً
وقد عُقِدَت كفّى على كاهل النجمِ ؟

وقال من قصيدة يذم فيها الزمان :

أسِربَ الحمام لو لقيتُنَّ بعض ما
أُلاقى لأصبحتُنَّ أول مَن يضنى

ولو قد علمتُنَّ الذى أنا عالم
لما ناح منكم هاتف ، لا ولا غنَّى

ومن جرَّب الأيام تجربتى لها
دَرَى أنها ليست تدومُ على مَعنى

فحسبُك يا دهرُ اصطليتَ بنارِ مَن
لَو انَّك سم فى تَراقِيه ما أنَّا

وأكثرُ ما أهجُوك يا زَمنى به
من الفعل أنى لم أحسِّن بك الظنا

ذممنَاك يا صَرفَ الحوادثِ فانتصِر !
وسؤناك يا ريب الزمان فَخُذ منَّا !

فإنّا أناس لا نَذِلُّ لنكبة
وأخلاقنا لا تَعرف الخوفَ والجُبنا

ي. الاعتذار

قال تميم بن المعز يعتذر الى والده الخليفة « المعز لدين الله » من بعض ذنوبه :

قل للامام مُعزّ دين محمد
بالسمهرية والحسام الباترِ
ان كان قد عظُمت ذنوبي وانتهت
بي فوق مقدار الذنوب جرائري
فأقلُّ ما تحويه عفوُكَ واسع
سعة يحيط صغيرُها بكبائري
والله ما بقيت خطايا تائبٍ
يوماً ، ولا حسنت عقوبة قادرِ
عُذري على عمدٍ ، وذنبي غفلة
والذنبُ يُظهِرُ فضلَ عفو القادرِ
انّي التزمتُ خطيئة نُسبت الى
جَهري ، ولم تَسكُن عقودَ سرائري

وقال معتذراً الى أخيه الخليفة العزيز بالله لتأخره عن الحضرة يوم العيد لمرضه :

وما تأخرتُ من زُهد خسرتُ به
أَجري ، ولا غبتُ عن رؤياك من مَلَل
ومَن يَبيعُ نهاراً مُشرقاً بدُجى
ومَن يخوض ضُحى الأصباح للطفل ؟

لـكن تخلفتُ من سُقم ومن ألَم
طفقت بينهما كالهائِم الخَبِل
داء يذودُ عن العينين نومَهُما
وعلة بىِ قد زادت على العِلل
فان تكن قَصَّرت بى عنك اذ سَقِمت
رِجلى ، فانى صحيحُ الودّ والعمل
لا وجهُ نُصحى وطاعاتى بمنصرف
عما عهدتَ ، ولا قلبى بمنتقل
انى بحبِّكَ ممزوج ، كما مَزَجت
أيدى السُقاة مزاجَ الماءِ بالعسل
صلَّى عليك وأعطاكَ السعادةَ مَن
حباك بالنصر والتأخيرِ فى الأجَل

وقال معتذراً اليه أيضاً حين أقام بخليج « سردوس » أياماً للنزهة وتأخر شاعرنا عن اللحاق به هناك لعلة أصابته :

اللهُ يعلم ما طوته جوانحى
لما رأيتُ البَين أنجزَ وعدهُ
قالوا : العزيزُ ترحَّلت أجمالُه
ونأى ، فكيفَ وجدتَ عندك بُعدهُ ؟
فاجبتهم أنى لأكفُر فضله
ونواله أن رحتَ حَيًّا بَعدهُ
ولعلّ مَن سَمك السماء يردّهُ
عَجِلا ، ويكفينا نواهُ ، وفقدَهُ

ثِق بالنجــــاح فـــان ربـــك كالىء
لك يا نــزار ، و'مطـــــلع لكَ سَعدَه'
هــــذا الذى أسطيعه جهدى . وقــد
وفّاك مَن أعطـــــاك منـــــه جَهده'

وخرج أخوه الخليفـة العزيز بالله الى ضاحية عين شمس ، وتأخر شاعرنا عن اللحاق به هناك لضرورة دعته الى ذلك ، فكتب اليه معتذراً :

أغيب ولى مهجـــــــة لا يـــــزال
اليـــــك سُراهــــا وتبـــكيرها
ولـــكنك الشمس' حيث انصـــرفت'
مـــن الأرض يَصـــحبُنى نور'ها
اذا ما غــــدت لك عنــــدى يـــد
تعـــــاظم فى الفضـــــل تأثيرها
صـــــددت' حيـــاء ، فنـــادَينَنى
سجاياكَ يعطفُـــــنى خِـــيرها
كمـــــا يتـــــداوى اذا ما انتشى
مـن الـــرّاح بالـــراح مخمور'ها ..!

وكتب الىصديقه وجليسه أبى عبدالله الحسين ابن ابراهيم الرسّي الطالبى معتذراً من عـدم شهود مجلسه :

أيتهـــا المـــاجد' الذى لم يقصّـــر
عـــــن معــــالى آبائـــه الأبرارِ

انَّ حـق الـوداد عـنـد ذوى الآ
داب حـقٌ معظَّـم المقدارِ
سيَّما حقَ مَن صـفا وتنـاهى
لـكَ فى ظاهـر وفى اضمارِ
أنا فيـه مقـدّم لك عـذراً
فأجِـز بالقبـول وجـه اعتذارى
لا أؤدى حقـوقه وهـو فـرد
كيـف لمـا شَفعتهُ بالجـوارِ ؟
لم تعـبِّر بـلاغتي ولسـانى
منـه عن عُشر ما حـوت أسرارى
ليس أَنى ضعفتُ عنـه ، ولـكن
ضـعفَت مـن بلـوغه أشعارى
زاد ربعى دنـوُ رَبعِـك منـه
أنسـاً فى القـلوب والأبصارِ
زان شـعرى لـذيذُ شِعرك فيـه
مثلمـا زان قـربُ دارك دارى
فهنيئـاً لك المنـازل والأقبـا
ل . والعمـر دائـمَ الأيسارِ
لو أمنتُ الـذى حـذرت اذن زُر
تُـك فيهـنَّ أولَ الـزوارِ
قاضـياً فى زيـارتى لك حقـاً
ليسَ تقتضـيه رُقعـتى ، واستتارى
ان تأخـرتُ باختيـار زمانى
عنـك فاعـلم أن الدنـو اختيارى

ك ـ الهجاء

قال الأمير الشاعر تميم بن المعز يهجو بعض الكتّاب :

اذا لم تعـرف الخـيرا فتأتيـه ، ولا الشرا
ولـم تقصـد بأفعـالك لك لا نفعـاً ولا ضرا
ولم يَعدِل بـك التمييزُ لا يُمـنى ، ولا يسرى
فأنت المـاء لا يعـدو بـه تيّـارُه المَجرى
وأنت السـيف لا يفرى اذا ما لـم بـهُ يفرى
فما حقّك أن تسـمعَ لا ذمـاً ، ولا شـكرا
ولـكن أنت فى جهلـ ـك كالآكل ما يَخـرى
وكالسّـكران لا يَـدرى بمـا يفعـلهُ سكرا
وكالتـاركِ ما يَجنى وكالجـاهِل ما يَقرا
وقـد سمّاك أقـوام جـواداً ماجـداً غَمرا
ولـم لا تَهبُ الألفَ اذا لم تـدر ما العَشرا ؟
ولم لا تُكـرم العبـدَ اذا لم تَعـرفِ الحُرا ؟
وقالـوا : ليس قـدر المـا ل فى هِمّتـه قَدرا
وهـل يعـرف ما الأيسا رُ من لا يعرفُ العُسرا ؟
فـلا أبقى لـك الله بقـاءً ، لا ولا عُمراً
فمـا أولىَ بك الموتَ وما أولىَ بـكَ القبرا !!

ل - شعر الصيد والطرب

قال فى الطَّرَد :

قــــد أغتــــدى والليــــلُ فى دُجاهُ
والصـــبحُ لــم يَنهض بــه سنَاهُ
عـــلى حِصان شـــنج نَســـاه
أنبَطَ نهـــد ، عَبـــل شـــواهُ(١)
ســـامى التليـــل ، ســالم شَظَاهُ
ذى غُـــــرة أولهـــا أُذناهُ(٢)
جازبهـــا مسيلُهـــا مَـــدَاهُ
حتى لقـــد كـــادت تُغطّى فاهُ
مســـتكملُ التحجيـــل مستوفَاهُ
أربَعُـــــهُ وبطنُـــــهُ أشباهُ
مخـــالف أســـفلُه أعـــلاهُ
بدُهمـــة قـــد مـــلأت قراهُ
وانصـــبغت منـــه أليتَّـــاهُ
فهـــو دُجى يحمـــله ضُحَاهُ
تســـبقُ أقصى لحظـــه خُطَـــاهُ
لا يطـــأُ التـــربَ ولا تلقـــاهُ

---

(١) الشنج : المنقبض ، والنسا : عرق يخرج من الورك ، وشنج النسا صفة محمودة فى الخيل . والأنبط من الخيل ما تحت بطنه وابطه بياض ، والنهد : الفرس الجميل اللحيم المشرف ، وعبل الشوى : غليظ القوائم.
(٢) التليل : العنق ، أى مرتفع العنق ، والشظا : عظم بالركبة أو الوظيف .

رجـــلاَه فى العَــــدو ولا يَــدَاه
كـــأنّه يطــــــير فى مَجـــراه
اذا دعا ليثُ الفَــــــلا لبَّـــــاه
أســـــرعُ للشَّىء اذا ابتَغَــــــاه
من مَبـــلَغ السَّهـــم لِمنتهـــاه
مُرتبطُ الرَّجـــل بمـــــا يراه
كاللفظ ملتفَّــاً بـــه معنـــاه
تحسُـــدُ منـــه يَـــدَه رِجلاه
حـــتى يـــكاد وهو فى مَعـــداه
تســــبق أُخـــراه بـــه أُولاه
لا يشتـــكى مـــن تعَب وَجـــاه
ولا تَنـــدَّى عَـــــرقاً جنباه
كأنـــه اذا جـــرى ســـواه
لـــو نـــام فـــوقَ مَتنِه مولاه
وهو شَديدُ العَـــدو لاســـتوطاه
ولـــم يَطِـــر عـــن جَفنـــه كراه
أشـــــوسُ فى مِشيَتِه تيَّـــــاه
يطـــاولُ الجـــوزاءَ مَن مَطاه
وأشـــــهب مغلبُــــــه شَبَاه
كـــلُّ ذوات الريش من عِداه(١)
بات يهيـــج جُـــــوعَه غَدَاه
كـــأنَّ فَصَّي ذَهَب عينـــاه

(١) الأشهب : يريد بازى الصيد ، والأشهب أكرم أنواع البزاة .

في هامــــة قـــــد بَرزَت وَراه
هادينــــة مَن ضـــلَّ عـــن سُراه
يـــكاد أن يَحرقـــه ذكـــاه
لو طـــلب الـــكوكَب لانتهاه
ما غالـــه يـــوماً ، ولا أعيـــاه
مـــا رمقَت في الجـــو مُقلتاه

م - في أغراض شتى

وقال تميم بن المعز في اتقاء المعاصى :

أفنيـــت دَهـــرك تتَّـــقي
فيـــه الحَـــوادث والمَصـــائب
ولـــو اتَّقيت معـــاصي الرَّحـــ
ـــمان فيمـــا أَنت راكـــب
لأمنتَ مـــن نـــار الجَحـــيم وفـــ
ـــي الحَيـــاة من النَـــوائب
ان لـــم تُـــراقب مَـــن لـــه
حُكـــم عليـــك فمَـــن تُراقب ؟

وقال من الشـــعر الذى كان يتغنى به فى مصر كما قال صاحب « يتيمة الدهر » :

قالت وقد نالها للبَـــين أوجَعُـــه
والبَين صـــعب على الأحبـــاب موقعُه
اجعـــل يديك على قَلبى فقد ضَعُفت
قُواه عن حَمـــل ما فيـــه وأضلُعُه

واعطِف عليَّ المطايا ساعة ، فعسى
مَن شَتَّ شمل الهوى بالوصلِ يجمعُه
كأنني يوم ولَّت حسرة وأسى
غريقُ بحر يرى الشاطى ، ويمنَعُه ..!

وقال يصف القرافة ـ وكانت فى العصر الفاطمي مسكن المتصوفة ، ويتضرع الى الله :

اذا كنت مصطفيا مَربعَاً
فخُصَّ القرافة بالاصطفاء
منازلُ معمورة بالعفا
ف ، مخصوصة بالتقى والبهاء
كأنَّ العبير لها تربة
تَضَوَّع فى صبحها والمساء
ويُحيى النفوسَ بأرجائهن
رقيقُ النسيم ، وطِيبُ الهواء
ديار أديرَ بهنَّ النعيم
ومغنى كملتذٍّ رَجع الغناء
تزيد الشموس بها بهجة
وتحسُنُ فى مُقلَتي كلِّ راء
ويُنبِهُ فيها النيامَ ، الأذانُ
اذا مزق الليلَ سَيفُ الضيّاء
فمِن ذاكر ربَّه خشية
ومِن مستهل بطولِ الدعاء

ولا خيرة في حياة امرىء
اذا لم يَخَف فصلَ يوم القضاء

رجوتك يا رب لا أنني
أطعتُكَ طوع أُولي الانتهاء

ولكنني مؤمن موقن
بأنّكَ ربُّ الورى والسماء

وأنك أهل لحُسن الظنون
وأنّكَ أهل لحسن الرجاء

ومالي يا ربِّ من شافعٍ
اليك سوى خاتمِ الأنبياء

وقال فى الزهد والموعظة :

يا عجباً للناس كيف اغتدوا
في غفلة عمّا وراء الممات

لو حاسبوا أنفسهم لم يكن
لهم على احدى المعاصي ثبات

من شكّ في الله فذاكَ الذى
أصيب في تمييزه بالشتات

يُحيِيهمو بعدَ البِلى مثلَ ما
أخرجهم من عدَم للحياة

وقال في آداب النفس :

اذا الدهرُ أعطاك القيادَ مملّكاً
ودارت بما ترجو عليك سعوده

فلا تَعمَ فيــه عــينُ قلبــكَ حَيرة

وخــذ وافِد من كــلٍّ ما تستفيدُه

يموت الفتى طِفلا ، وكهــلا وعَبطــة

ويَبقى عــلى الأيام والدهــر جُودُه

فكن لجميع النــاس فيه مُشــاركاً

فعما قليــل ســوفَ تصحو رُعُودُه

ولا تتكبَّر انَّ قــدرَكَ فــوق ما

ملــكتَ ، وأن الــكبرَ مالا يَزيدُه

وزد لعطــاء اللهِ ذُلَّ تواضــع

فانــك والأقــوامَ طُراً عبيدُه

■ ■ ■

المصادر والمراجع

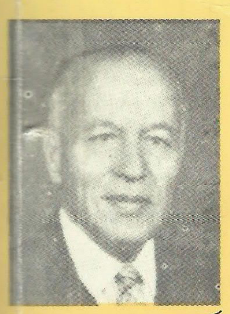
وفيـــات الأعيـــان	:	لابن خلكان
خـــريدة القصـــر	:	للعماد الأصفهاني
دميـــة القصـــر	:	للباخرزي
المنتظـــم	:	لابن الجوزى
المغرب فى حلى المغرب	:	لابن سعيد المغربي
سـيرة الأستاذ جـؤذر	:	للعزيزي الجؤذرى
البـــداية والنهـاية	:	لابن كثير
حســـن المحـــاضرة	:	للسيوطي
مســـالك الأبصـــار	:	لابن فضل الله العمري
ديوان تميم بن المعـز	:	
الأدب العربي فى مصر	:	للمرحوم محمود مصطفى
فى أدب مصر الفاطمية	:	للمرحوم د. محمد كامل حسين

الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية :

للمرحوم د. أحمد أحمد بدوي

الفهرس

الموضـــوع	صفحه



المؤلف بقلمه...

- ولد في ١٩ أغسطس سنة ١٩٠٧ بمدينة المنصورة التي شهدت الانتصار على الصليبيين، وأسر وسجن فيها لويس التاسع" ملك فرنسا
- أكمل تعليمه العالي والجامعي بدار العلوم وجامعتي أكستر بانجلترة وبزانسون بفرنسا، وعمل بعد عودته مدرسا بالتعليم الثانوي، فأستاذا بالمعهد العالي للتمثيل، فمديرا للإذاعة المدرسية، فأستاذا بكلية الشرطة، فمفتشا عاما بالتعليم الثانوي والأجنبي. كما عمل مديرا للدعاية بدار المعارف، ومؤسسة المطبوعات الحديثة، والدار القومية.
- بدأت (الأهرام) نشر شعره منذ سنة ١٩٢٧ تحت لقب "شاعر الأهرام".. وشارك في تحرير معظم المجلات بمصر والعالم العربي
- أول من قام في الشرق العربي بعمل الفهارس والقوائم التعريفية المبوبة لأكثر المكتبات ودور النشر في مصر
- عين في سنة ١٩٧٢ عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بدمشق، وفي سنة ١٩٧٨ ظفر بعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة
- يحب الأسفار والرحلات إلى العالمين القديم والحديث لزيارة آثارنا النازحة...
- ظفر بجائزة الدولة في فن السير والتراجم عن كتابه: (أحمد فارس الشدياق).
- من مؤلفاته الكثيرة: الشعر العربي في المهجر - فن الترجمة في الأدب العربي - الفلاح في الأدب العربي - جوانب مضيئة من الشعر العربي - مي أديبة الشرق والعروبة - من أمثال العرب - ابن الرومي - بطل السند - الشريف الإدريسي - الشريف الرضي - التراجم [illegible] ينة الجنة وآخرها: (سائر على الدرب)

محمد عبد الغني حسن

مطابع وإعلانات الشريف
الرياض - ت: ٤١٢٢٩٥٧